
روايات مصرية للجيب
26
فانتازيا
عودة المحارب
Looloo
www.dvd4arab.com
المؤسسة العربية الحديثة

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لاتملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولاتجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة أو ممثلة ، ولاتملك مؤهلاً دراسيًّا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًّا ولاتملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًّا .. ولأن عقلها مزدحم بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًّا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتـازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لاتتغيَّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

* * *

١ ـ مواجهة لم تتم ..

قالت له (عبير) :

«لقد وجدت خطابًا فى جيبك .. »

تباطأت حركة الطعام فى فمه ، كأنما يمعن التفكير مليًا .. كذبة .. هو الآن يبحث عن كذبة .. لماذا ؟ لأنه ذكى بالتأكيد ويعرف عن أى خطاب تتكلم .. لكن لابد أن يسألها السؤال التالى على سبيل التقاليد :

« أى خطاب تعنين » ؟

ـ « خطاب الآنسة (رانية) طبعًا .. أم لعلها مدام » ؟

من جديد عاد (شريف) يمضغ ما فى فمه ، كأنما يستحضر الكذبة من غدد اللعاب ، ثم قال بعد صمت طال :

ـ « لاتوجد (رانية) .. ولايوجد خطاب .. عم تتكلمين » ؟

وهنا تذكرت أنها كانت حمقاء حين أعادت الخطاب لجيبه بعدما نام فى تلك الليلة التى سافرت فيها إلى القمر مع رجال نادى السلاح وكرة (هـ . ج . ويلز) معًا .. الآن يمكنه أن ينكر .. لكن لاتوجد محاكم هنا .. إنها الشاهد والمدعى والقاضى معًا ، ولسوف تدينه قبل أن تحاكمه .. بل هى قد أدانته بالفعل من دون أن تصغى لدفاعه .. فقط فى المحاكم يستطيع المجرم أن يفر من التهمة بإخفاء أداة الجريمة ..

قالت والدموع توشك أن تتساقط من عينيها ، لكن لابد من أن تمنع هذا :

ـ « كف عن المزاح .. ثمة خطاب من فتاة من عالمك وجدتك مناسبًا لها أخيرًا .. اسمها (رانية) .. وأنا وجدته وقرأته وفهمته .. والآن أطلب منك تفسيرًا أو فعلاً أو كليهما .. »

فى عناد شنيع قال :

ـ « (عبير) .. أنا أكرر أننى لم أعرف واحدة بهذا الاسم .. »

ـ « وأنا أكرر أن للكذب حدودًا يجب أن يتوقف عندها .. »

ـ « أنا لا أكذب ولا أتجمل .. ولا وقت لدى لهذا الهراء .. »

ثم قرر أن الوقت قد حان لإنهاء هذه الوجبة ، لأنها بدأت تتحول إلى حمض كبريتيك مركز فى معدته ، فمسح فاه بالمنشفة ونهض ، وقال :

ـ « إذا كنت ستلعبين لعبة الغيرة فالعبيها بالشكل الصحيح .. حاولى كتابة الأسماء كى لاتنسيها ! »

صاحت فى غيظ :

ـ « إلى أين تحسب أنك ذاهب ؟ لم ننته بعد !! »

ـ « أنا انتهيت من الأكل ومن السماع ، وصار من حقى أن أفعل شيئًا أكثر أهمية .. »

ورأته فى ذعر يتجه إلى الحمام ليغسل يديه ، ويفعل شيئًا أكثر أهمية .. مستحيل أن ينتهى الأمر هكذا ! لقد تجنبت هذه اللحظة ثلاثة أيام كاملة لأنها توقعت

أن تفتح أبواب الجحيم عليها وعليه .. لكنها لم تتوقع أن تنتهى الأمور بهذه البساطة وهذا السخف ..

كلا .. لم ينته الأمر .. ستعرف كيف توقع به ..

إنها بحاجة إلى مواجهة .. مواجهة شرسة تعرف بعدها ما لها وما عليها ..

* * *

وقضت .. كما تتوقعون .. أسود يوم فى حياتها ..

إن الغد لا يجىء حين تريده .. وهى اليوم تريد الغد بشدة .. وهكذا ظلت فى غرفة النوم راقدة على ظهرها ، تتأمل السقف وتقضم أظفارها ، وأحيانا كانت تذهب لتتأمل الطفلة مفكرة ..

هى الآن ترى (رانية) هذه بعين الخيال .. ترى وجهًا لا يمت للجمال بصلة ، لكنه مغطى بالأصباغ إلى حد أنه صار وجهًا جديدًا لا بأس به .. كما يرسم الرسام لوحته على قطعة من الخيش القبيح فتولد (الموناليزا) مثلاً .. إنها ترتدى البنطال الضيق طبعًا

وتتظاهر بالرقة ، وعلى وجهها تعبير دائم من الاشمئزاز كأنما (لم تتوقع أن تكون الأمور بهذا السوء) .. وهى تمثل دومًا .. بالتأكيد تمثل دومًا .. كل حركة تريد بها أن يرى الآخرون كم هى رقيقة .. كم هى راقية .. كم هى ذكية ..

« لنا نفس العالم ونفس المهنة » ..

هكذا قالت فى خطابها ، وبالتأكيد لم تكن تمزح .. إنها تعمل فى مجال الكمبيوتر مثل (شريف) .. بالتأكيد ليست مبرمجة أو مصممة نظم أو مهندسة .. لابد أنها تعمل فى مهنة ما غامضة ، من المهن التى امتلأ بها المجتمع حاليًا .. التسويق .. السمسرة .. الدعاية .. المهم أنها مهنة من المهن التى لا تصنع شيئًا ولا تقدم نفعًا ملموسًا .. تبيع وتشترى كلامًا .. ولكنها تمنح صاحبها الحق فى استعراض ثقافة غربية سطحية ، وأن يستعمل كلمات مثل Sale و Manager و Commisson وأن يحمل الهاتف الخلوى ، ويستعرض به متمايلاً متلويًا فى أثناء انتظار القطار على المحطة ..

(رانية) هذه ليست بالتأكيد عم (شحاتة) الميكانيكى الذى لم يعد يعرف لون يديه الحقيقى ، وليست عم (طه) النجار الذى بلل بعرقه كل قطعة أثاث صنعها ، ولا هى أم (رشدى) التى تبيع الشاى عند أول الحارة ، وبالتأكيد ليست الدكتور (محمود) الذى أصابه الصمم من صرخات النسوة فى أثناء الولادة ، ولا المهندس (ثروت) الواقف مع رجاله فوق السقالة فى الشمس الحارقة ..

(رانية) هذه لاتجيد قلىَ بيضة ، ولسوف يغشى عليها لو رأت حفاضة طفل مليئة بالخيرات إياها ..

هكذا قضت (عبير) ليلتها مع (رانية) ، وقررت فى الصباح أن تذهب إلى ....

* * *

.. عمل زوجها !

نعم .. كان هذا ضروريًا .. فقد قدرت أنها تريد أن تتأكد أولاً من أنه لاتوجد (رانية) فى العمل مع

(شريف) .. ولو وجدت فلابد أن تراها لتكرهها جيدًا .. وكانت تعرف أن (شريف) ليس فى المكتب هذه الأيام لأنه يذهب إلى تلك الشركة الاستثمارية التى يطور لها نظام الحاسبات .. لن تكون هناك مفاجآت سيئة إذن ..

تركت الطفلة مع تلك المربية التى تأتى فترة الصباح لتعاونها فى الآونة الأخيرة .. استقلت سيارة أجرة ، ولم تكن قد رأت المكتب الجديد قط لكنها كانت تعرف مكانه ..

وأخيرًا دخلت القاعة الفاخرة مكيفة الهواء ، حيث السكرتيرة الحسناء ترمقها من فوق العوينات المتدلية على قصبة أنفها ، وتسألها بصوت أنفى أرستقراطى إن كان بوسعها أن تقدم لها خدمة ما :

ـ « طلباتك ؟ »

هذه هى البداية كما توقعت (عبير) الفتيات فى هذه الأماكن التى تعمل فيها (رانية) يقلن (طلباتك) دائمًا ، ولايقلن (ماذا تريدين) .. إن حدسها صادق حتى الآن ..

خرج صوتها مبحوحًا وهى تقول :

- « الآنسة (رانية) .. هل هى هنا ؟ »

فى نشاط احترافى مدت السكرتيرة يدها إلى أزرار الهاتف ، وهى تسأل فى الآن ذاته :

- « أقول لها من ؟ »

إذن هناك (رانية) بالفعل ، و (شريف) كاذب .. بقى أن ترى كم هى كريهة مصطنعة ..

- « أنا قريبتها .. قولى لها إن (سلوى) تنتظرها .. »

قالت الفتاة للطرف الآخر على الهاتف :

- « هالو .. (عماد) .. هل (رانية) عندك ؟ قُل لها إن (سلوى) قريبتها هنا فى الـ Reception .. »

ثم وضعت السماعة وتجاهلت (عبير) تمامًا ..

بعد خمس دقائق دخلت المكان فتاة ما .. لا أراها رائعة إلى هذا الحد ، لكن (عبير) وجدت أنها أجمل شىء رأته فى حياتها ، وكاد قلبها يثب فى فمها انفعالاً ..

كان من الواضح أنها خالية من الافتعال ، وأنها على قدر لابأس به من الثقافة والتهذيب .. رقيقة هى .. وديعة هى .. ضحوك هى .. ولم يكن من داع للسؤال عما إذا كانت هى (رانية) .. لأنها كانت (رانية) .. بالتأكيد (رانية) ..

سألت (عبير) فى تهذيب متحفظ :

- « هل من شىء أقدمه لك ؟ »

وهى أيضًا لا تقول (طلباتك) .. هذه صدمة أخرى لـ (عبير) التى حشدت نفسها حشدًا لكراهية ماستراه ، فإذا بها توشك على أن تحبه .. قالت (عبير) فى ارتباك وقد قررت أن تنهى اللعبة :

- « عدم المؤاخذة .. إن اسم قريبتى هو (رانية شوقى) .. أعتقد أن هناك خطأ ما .. »

- « أنا (رانيةُ راشد) .. وأعمل فى قسم الصيانة هنا .. لا توجد (رانية) أخرى .. »

إذن هى تؤدى عملاً ما .. عملاً له رأس وذيل ومرهق

كأى عمل محترم آخر .. عملاً يحتاج إلى ما هو أكثر من التلوى بالهاتف الخلوى فى أثناء انتظار القطار على المحطة .. قالت بصوت متحشرج :

- « إذن أنا آسفة .. يبدو إننى .... »

قاطعتها الأخرى ملوحة بيدها فى مرح :

- « بالعكس لقد ظفرت بخمس دقائق من الراحة بفضلك ، ربما صارت عشرًا لو سمحت لى بأن أقدم لك مشروبًا باردًا .. »

كان الأمر الآن يفوق تحمل (عبير) ، ولم ترد إلا أن تجد نفسها فى الشارع وتستجمع خواطرها .. لهذا صاحت بنبرة الموشك على البكاء :

- « لا .. لا .. شكرًا .. لا أريد .. »

وغادرت المكان كالسهم ..

وعلى درجات السلم فطنت إلى أنها تبكى ، وقد فهمت سبب البكاء .. ليس الغيرة بالتأكيد وإن بدا الأمر كذلك .. بل الفشل ..

لقد فشلت فى أن تكره (رانية) ، ولكم كانت بحاجة إلى هذا الكره !

* * *

كان رأسها مفعمًا بالأفكار وهى تجلس أمام جهاز الكمبيوتر ..

إنها الآن لاتستبعد أن يكون زوجها هو البادئ ، وهو من أوقع هذه الزهرة الرقيقة فى حبائله .. لقد حلا لـ (عبير) أن تعتبر الفتاة هى الصياد الشرير ولم يخطر ببالها العكس .. الآن بدأ العكس منطقيًا ، وها هى ذى البائسة الأخرى تهيم برجل متزوج .. وهى لاتعرف أن من كانت تكلمها هى زوجته ..

ماذا تفعل بالضبط ؟ كيف ترغم الوغد على الاعتراف ؟ ولو اعترف فماذا تفعل بعدها ؟

وضعت الأقطاب على رأسها وأغمضت عينيها ، وحبست أنفاسها ..

ستزور (فانتازيا) الآن كعادتها على سبيل التخفف من الواقع ..

وحين تعود لابد من أن تجد حلاً ما .

« طلباتك ! » .. قالتها للجهاز على سبيل التهكم ، ثم ضغطت على زر الإدخال ..

* * *

٢ ـ الوفية ..

« اعملوا على ألا تعيشوا كالدواب .. ولكن لكى تكتسبوا كل يوم معرفة جديدة .. »

[الشاعر الإيطالى (دانتى) على لسان (أوديسيوس)]

* * *

كانت واقفة هناك على التل ترمق الجزيرة مترامية الأطراف عند قدميها ، وخصلات شعرها الأشقر تتطاير مع الريح ، فتوشك على جرح قرنيتيها ..

أشقر ؟ كيف ؟ شعرها ليس أشقر ، وبالتأكيد لايطير.. نظرت للوراء حيث وقف المرشد يتسلى بالضغط على زنبرك قلمه الأبدى ، وعلى وجهه ابتسامة ثقيلة الظل .. إن المرشد ثقيل الظل دائمًا لكنها تحبه لما يرمز له ، ولاتعرف سر اختيار هذا الرجل بالذات ليهديها هنا ، كما اختار (دانتى) الشاعر (فيرجيل) ليهديه فى العالم الآخر .. كان المرشد يرمز لمدرس اللغة العربية الذى

عرفته فى طفولتها ، وكانت تعتقد أنه يعرف كل شىء .. وكان واسع الاطلاع يحكى لهم قصصًا غاية فى الإمتاع ، لكنه كان يوحى بثقل الظل ، وهذا شىء لا ذنب له فيه .. أما القلم فهو بالتأكيد يرمز لأداة الأدب الخالدة .. القلم هو المعادل البصرى لكلمة (الأدب) ، إلى أن تحتل أذهاننا صورة مفاتيح الكمبيوتر أو حزم الليزر ..

قالت للمرشد وهى تتحسس شعرها :

ـ « أرى أنك لم تبذل جهدًا هذه المرة فى سؤالى عن وجهتى .. لقد اخترتها لى بالفعل .. »

ابتسم وقال :

ـ « تك تتك ! لايمكن أن تعيشى الإلياذة من دون أن تعيشى الأوديسة بعدها .. إن الأمر يشبه الغداء دون فاكهة ولا حلوى ولا شاى بعده .. »

ـ « إذن أنت اخترت لى (الأوديسة) اليوم .. »

ثم حكت شعرها محاولة أن تتذكر ، وقالت :

ـ « قلت لى ما هى بالضبط ؟ »

ـ « العودة الأسطورية لـ (أوليس) إلى زوجته المحبة (بنيلوب) بعد انتهاء حرب (طروادة) .. »[*]

ـ « لا أعرف من هو (أوليس) هذا .. هل نسبت (الإلياذة) إلى اسمه ؟ »

ـ « (أوليس) هو البطل الإغريقى (أوديسيوس) ، وإلى اسمه نسبت (الأوديسة) .. وليس اسم (الإلياذة) مشتقا من (أوليس) كما يعتقد الحمقى فى كل مكان وزمان .. إنما الاسم مشتق من (إليوم) وهو أحد أسماء طروادة .. أنت تعرفين أن الأساطير اليونانية تعج بالأسماء .. ولكل بطل اسم لاتينى وآخر يونانى .. لهذا تجدين أن (أوليس) هو (أوديسيوس) ، و(إليوم) هى (طروادة) ، و(فينوس) هى (أفروديت) ، و(جوبيتر) هو (زيوس) .. الخ ...... »

ابتسمت فى ذكاء وقالت :

(*) تحدثنا عن هذه الملاحم بالتفصيل فى الكتيب السابق (من أجل طروادة) صفحات 15 و 137 ، ولا داعى لإعادة ذكرها حتى لا تثير ملل من يعرفونها ..

- « كان لى قريب من الريف يدعى (عباس) ولسبب ما كان أهله يطلقون عليه (رضا) ، حتى إنه لم يعرف أنه (عباس) إلا حين استخرج أول بطاقة شخصية .. »

- « لست مهتمًا كثيرًا بقصة (رضا) الذى لم يعرف أنه (عباس) ، لكنك على الأقل تتعرفين ما أعنيه الآن .. أنت حاليًا فى مملكة (أوليس) الأصلية ، وهى جزيرة (إيتاكا) اليونانية .. هل يمكنك البدء من هذه النقطة ؟ »

- « سأحاول .. لكن دور من ألعبه هنا ؟ »

- « يا له من سؤال .. بالطبع لا توجد نساء هنا إلا (بنيلوب) المخلصة التى تنتظر عشر سنوات حتى يعود زوجها .. ستكونين (بنيلوب) .. »

قالت فى تهكم :

- « وهو ؟ هل كان مخلصًا مثلها ؟ »

- « غالبًا ما كان كذلك .. ثمة مرات عاش فيها مع نسوة أخريات ، لكن كان هذا ضد إرادته .. أحيانًا كان تحت تأثير السحر أو أسيرًا .. »

- « إنه لرجل نادر إذن ! ربما لهذا أَلَّفتَ ملحمة كاملة باسمه ! »

قال وهو يبتعد ، ويدس القلم فى جيب سترته :

- « إن (أوليس) رجل نادر الطراز حقًا .. لكن الملاحم لا تُكتب لأسباب كهذه .. والآن أتمنى لك حظًا سعيدًا خاصة مع ابنك الجامح العصبى (تيلماك) .. »

وبدأت هى فى حذر نزول الهضبة ..

★ ★ ★

بمجرد أن هبطت إلى الأرض وجدت حشدًا من الرجال يحيط بها .. كان الافتتان بها واضحًا على الوجوه ، وجثا بعضهم على ركبتيه ، وراح بعضهم يفرك عينيه غير مصدق لجمالها ، وراح عدد منهم يتلو الشعر بلغات متباينة لا حصر لها ، دنا منها رجل نسمج له ضفيرتان طويلتان وقال وهو يركع ليلثم يدها :

- « قد قلقنا عليك يا (بنيلوب) الجميلة .. وهذا جعلنا نلتهم كميات أكثر فى الغداء .. لا شىء كالطعام للقضاء على القلق .. »

كانت تعرف إلى أين تسير .. وقد تذكرت أنها قرأت شيئًا كهذا من زمن ، عن الزوجة الحسناء التى غاب زوجها فى الحرب ، وأقام الرجال والخُطاب حول دارها ليلَ نهارَ ، ينتظرون أن تختار منهم واحدًا ، حتى قبل أن يتأكدوا من وفاة زوجها ..

مشت بين صفوفهم ، وأدركت فى دهشة أن عددهم لن يقل أبدًا عن المائة .. مائة خطيب لزوجة جميلة هذا صحيح ، لكن مملكة زوجها أجمل بالتأكيد ..

وكان القصر شامخًا من بعيد .. عرفت أن هذا قصرها وقصر زوجها الغائب (أوديسيوس) ، فمضت إليه ثابتة الجنان شأن من تعرف ما تفعل ..

كان خِطّابها فى كل صوب ، ولم يبد أنهم من فرسان الأحلام .. كانوا جالسين يلتهمون الطعام كالخنازير البرية .. منهم من انقض كالغول على فخذ حمل ، فسال الدهن على صدره ولحيته ، ومنهم من راح يجرع الشراب من دن ثقيل ، ويتجشأ كما تتجشأ الخيول ، ومنهم من راح يتسلق الأشجار الفينانة فى الحديقة ليقطف العنب ..

أكثر هؤلاء الرجال رشاقة كان يكتفى بالتبارى مع رفاقه فى الركض عبر البساتين ، أو المصارعة ..

الحقيقة أن هؤلاء القوم ـ وهم من أمراء اليونان ـ كانوا يلعبون لعبة (غاب القط) بنذالة متناهية ، وما كان واحد منهم ليجرؤ على هذه الوقاحة لو أن (أوديسيوس) هنا .. إنهم الآن فى داره يأكلون طعامه ويشربون شرابه ويطلبون يد زوجته !

لو عاد (أوديسيوس) العظيم لحولهم إلى هامبرجر لو أن شيئًا كهذا كان معروفًا فى الأساطير الإغريقية .. أما هى فامرأة .. مجرد امرأة .. لاتملك الصوت الجهير ولا قوة البدن التى تسمح لها بطرد هؤلاء الوحوش ..

عشرة أعوام كاملة منذ رحل زوجها مع (أخيل) و(أجاممنون) وسائر أبطال اليونان لمهاجمة طروادة .. وقد أبلى زوجها بلاء حسنًا .. عرفت هذا من العائدين ، كما عرفت أنه هو صاحب فكرة الحصان الخشبى الذى أنهى حصار المدينة ..

لا بأس .. إنه زوجها .. وهى تعرف أنه الأفضل لأنه زوجها هى ..

المشكلة الآن أنه لم يعد بعد برغم انقضاء عام على انتهاء المعركة ، وبرغم أن الكثيرين عادوا ، وبرغم أن تلك الكارثة اللعوب المسماة (هيلين) عادت مع زوجها هى الأخرى .. وكأن شيئًا لم يكن ، وكأنها لم تكن السبب فى حرب ضروس دامت عشرة أعوام ، وكلفت الإغريق حياة (أخيل) وألوف سواه من الأبطال ..

والمشكلة هنا أن (الأناضول) قريب جدًا من جزيرة (إيتاكا) .. لو أمسك المرء بالخارطة لوجد أن اليونان مجاورة تمامًا لتركيا ، حتى لو كان السفر أيام السفن الشراعية والمجاديف .. معنى هذا ببساطة أن مكروهًا ما قد حدث .. وما أكثر المكروهات فى الزمن الصعب الذى لا يقل فى شراسته عن زمننا هذا ..

(أوديسيوس) أو (أوليس) لن يعود .. صار هذا مؤكدًا .. لكنها لن تسمح لأحد هذه الغيلان بأن يصير سيد قصره من بعده ..

★ ★ ★

وكان (هوميروس) العجوز بانتظارها داخل القصر .. كان ينشد أبيات الشعر الحزين ، يترنم بأمجاد (أوليس) العظيمة وما أصاب زوجته وابنه فى غيابه ..

لقد صار هذا العجوز لا يطاق .. لابد أن تجده تحت كل حجر وفى كل غرفة ، وحتى لو فتحت موقدها ستجده .. لكن لا مفر من ذلك لأنها الآن فى عالمه بالفعل .. كل حجر هنا من بنات أفكاره ..

- « الأقدار وحدها تعرف لماذا ضل (أوديسيوس) بجنده فى تلك العباب ، وقد عاد كل أقرانه إلى (هيلاس) بعد طول النأى وشحط المزار ، إلا هو وإلا هم ، ممزقين فى دار الغربة كل ممزق ، يتجشمون المصائب والأهوال ، ويتخبطون بين موج كالجبال ، ويخلصون من بحر إلى بحر ، ومن روع إلى روع .. فإذا رسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا ، أفزعهم فيها غير الذى رجوا .. »(*)

قالت له وهى تجلس إلى المغزل :

(*) الأبيات - طبعًا - من مقدمة ترجمة الأستاذ (درينى خشبة) للأوديسة !

ـ « كل هذا جميل .. والآن أنا مشغولة من فضلك .. »

وراحت تنسج .. إن الحل الوحيد الذى وجدته (بنيلوب) للفرار من خطابها أن طلبت منهم أن يمهلوها إلى أن تنسج كفنًا لأبيها الشيخ .. يبدو أن هذه كانت من علامات البرّ بالأبوين فى ذلك الحين .. لا بد من أن تنسج الكفن بنفسها وعلى مِغزلها .. وكل نساء الأساطير الإغريقية ينسجن شيئًا ما على كل حال ..

ولأنها أرادت أن تكسب الوقت إلى أن يجىء (أوليس) ـ إن كان سيجىء ـ فإنها راحت تنسج ببطء شديد شديد .. وفى كل ليلة تنقض ما تنسجه فى النهار ..

هنا دخل ابنها (تيلماك) .. كان فى الرابعة عشرة من عمره .. له ذلك الجسد النحيل الذى بدأ يزدحم بالعضلات النامية ، وله ذلك الصوت الرفيع الخشن الذى يذكرك بصوت تلاميذ المرحلة الإعدادية ، وفوق شفتيه العليا ذلك الزغب الأسود الشبيه بسناج الموقد .. فلو لم يكن يونانيًا لنادى رفاقه بـ (ياكابتن) .. ولأقسم بـ (وعهد الله) ..

كان حانقًا غاضبًا وكان يغلى من الداخل .. وقد اعتادت أن تراه هكذا يوميًا ..

قال لها وهو يجوب القاعة :

ـ « أماه .. لم أعد أتحمل كل هؤلاء الأوغاد .. »

ـ « لا أحد يتحملهم أى بنى .. لكن ماذا بوسعنا أن نفعل ؟ »

لم يجد ما يقول فراح ينفخ كالثيران ويقول :

ـ « لن يعود أبى .. لن يعود .. (أوديسيوس) العظيم قد مات ، ولم يبق لنا إلا أن نطرد هؤلاء الأوباش بأنفسنا .. »

قالت له ما معناه (فأل الله لا فألك) .. وأردفت :

ـ « لو كان فى جعبتك شىء فافعله .. أنا لا أمنعك من شىء إلا أن تقتل نفسك فى حماقة .. »

كان عسيرًا على هذا الشاب المراهق الحساس أن يجد المكان مزدحمًا بطالبى يد أمه .. والأدهى أنهم كانوا أقوياء حقًا ، وكانوا يوسعونه سخرية كلما أبدى تذمره منهم .. رجولته الوليدة فى مقابل رجولتهم الراسخة



قال لها وهو يجوب القاعة :

ـ «أماه .. لم أعد أتحمل كل هؤلاء الأوغاد ..»

العتيدة ، وصوته الرفيع فى مواجهة أصواتهم الواثقة الغليظة .. لقد وصل (تيلماك) إلى حواف غابة الجنـون ، وبعدها سيحاول جاهدًا أن يرتكب مصيبة ما ، أو يغمد قناة الرمح فى صدره ويستريح ..

وقال له (هوميروس) فى أناة :

ـ « ألا فاصبر يا (تيلماك) يابن بطل اليونان .. إن أبـاك مازال حيًّا .. كل العرافين قالوا إنه حى وإنه سيعود .. »

بصق الفتى على الأرض وهتف باشمئزاز :

ـ « ألا فاخرس ياشاعر الشؤم .. كلنا يعرفك .. تنتظر موت أبى لتكتب فى ذكراه قصيدة رائعة .. أعتقد أنـك كتبتها بالفعل ، لكن الحياء يمنعك من إلقائها قبل أن يعلن الخبر .. ولكن أى أذى يمكن أن تصيبنا بـه وأى ضرر بعد مصيبتنا الكبرى التى ابتلينا بها ؟ ألا فانتظر ياشاعر الغربان .. فلسوف يعلم (تيلماك) هؤلاء الرعاع معنى الشرف !! »



٣ ـ عـودة المحـارب ..

فجأة شعرت بضوضاء غير معهـودة ، وسـمعت الرجال يتهاتفون فى الخارج ، وثمة أقدام أكثر من اللازم تركض فوق الشـاطئ .. ماذا هناك ؟ خرجت إلى الشرفة الواسعة لترى ما هناك ، فصاح بها صائح يركض إلى الشاطئ :

ـ« قد عاد (أوليس) يا (بنيلوب) .. عاد زوجك !! »

ماذا ؟ (أوليس) قد عاد ؟ كيف ومتى ؟ لابد أن هؤلاء القوم يمزحون .. لابد أن هناك خطأ ما ..

هرعت إلى الخارج وهى تتساءل عن سبب هذه العودة المفاجئة .. إنها لم تضع فى شعرها مشطًا ، وليس لديها ما يؤكل إلا الجبن والزيتون .. لقد فرغ هؤلاء الوحوش من غدائهم .. هذا لعمر الله ديدن الأزواج فى كل مكان وزمـان .. يأتون فى أوقات غير

مناسبة ، والبيت فى أسوأ حالاته من حيث التنسيق ، وربما يأتون مع رفاقهم .. عندها تجد الزوجة نفسها فى أسوأ موقف ممكن .. إن الزوجة لاتطيق زوجها الذى يعود من عمله قبل موعد الانصـراف ، فكيف بالزوج الذى يعود من حرب (طروادة) نفسها فى وقت الغداء حيث لايوجد غداء ؟!

لكن كيف ومتى ولماذا ؟

كـان (هوميروس) يركض جوارها معتمدًا على عصاه ، لكن سرعته ممتازة فعلاً ، بحيث إنـه كـاد يسبقها إلى الخارج وبرغم أنه كفيف .. ونظرت لـه علـه يعرف شيئًا لاتعرفـه هى ، لكنـه كـان مثلهـا يشعر بحيرة وعدم فهم ..

* * *

وكان (أوليس) قادمًا من بعيد .. كان .. كما قلنا هو بالضبط (شريف) زوجها فى ثوب يونانى .. وكـان قد تقدم فى السن ، ورسمت حرب العشرة أعوام

خطوطها على تقاطيعه، لكنه كان يضحك فاتحًا ذراعيه .. ورأت (تيلماك) يركض بين يديه باكيًا دامع العينين يرتجف ضحكًا وانفعالاً ..

ومن خلف البطل العائد مشى عشرون من رجاله فى حالة سيئة .. ليست سيئة إلى الحد الذى يمنعهم من المشى على كل حال ..

- « (بنيلوب) !! زوجتى الحبيبة !! »

وعانقها فى حرارة، ثم أحاط بذراعه القوية كتفها وكتف ابنه، وصاح فى أهالى الجزيرة الواقفين :

- « **لقد عاد مليككم !!** »

همست فى ارتباك وهى تمسح يديها فى ثوبها :

- « لو كنت قد أعطيتنى خبرًا .. أنا لم أعد لك ما يليق بك من .... »

- « لا عليك يا ملاكى .. إن بعض الجبن والزيتون سيؤدى الغرض .. ولكن .. لماذا احتشد كل الرجال هنا ؟ »

كان العشاق الذين بلغهم الخبر الأسود الآن يرتجفون

هلعًا، وقد دنا أكثرهم حماسة من البطل العائد، كأنما يتأكدون من أن الخبر صحيح .. وتبينت (عبير) (بنيلوب) وجهين بالذات هما (انتينوس) و(يوريماك) .. وهما من أشرس المطالبين بالزواج منها .. كانا الآن فى أسوأ حال ممكنة وقد دنا أولهما - ذو الضفيرتين - من (أوليس) فعانقه وقال مختالاً مداهنًا :

- « الشكر لـ (زيوس) على عودتك مظفرًا أى (أوديسيوس) الهمام .. »

عانقه (أوديسيوس) فى حرارة، فأردف الأول :

- « كنا هنا لنحرس زوجتك وابنك ونرعى حرمة دارك .. »

- « عظيم عظيم ! هذا ما كنت أنتظره منكم .. »

مالت (عبير) على أذن (أوليس) وهمست فى تشف :

- « لا تتحمس لهؤلاء الخنازير كثيرًا .. سأحكى لك بعض الأمور عنهم حين ندخل القصر .. أعتقد أن سيفك سيبتل بدماء كثيرة هذه الليلة .. »

نظر لها (انتينوس) فى جزع .. كأنما يتوسل لها أن تحفظ السر ، وأن تقول لسيد البيت خيرًا ، لكن الشفقة لم تعد فى برنامج أعمالها اليوم .. إن الضباع لاتستحق إلا القتل ..

ودخل (أوليس) إلى بيته الرحب ، فبكت مرضعة ابنه (يوريكليا) حين بصرت به ، وسجدت على ركبتيها شاكرة .. وسألها أن تعنى برفاقه وسلاحه ..

ثم إنه جلس فى صدر القاعة ، وجاءته (بنيلوب) .. بالطعام .. للأسف لم يكن طعامًا شهيًا لأن الجراد أتى على كل شىء لهذا اليوم ، لكنه كان متأثرًا .. وراح يغمغم : جبنى ! ثم يملأ فمه بالجبن .. زيتونى ! ثم يلقى فى فمه بعشر زيتونات أو أكثر ، ولاتدرى متى سيلفظ بذورها .. خبزى ! ثم يدس فى فمه رغيفين .. وكانت المرضع تصب له الراح فى كأسه كلما فرغ ..

جلست (عبير) جواره ترمق وجهه الوسيم المنهك .. وكان (هوميروس) قد لحق بهم فى الداخل .. إنه كالذباب يوجد فى كل مكان ، وفى الغالب لايلاحظه أحد ..

لقد راح يصغى للمحادثات الجارية ، وقد بدا عليه نفاد الصبر ، ثم فى النهاية صاح بصيحة مدوية :

ـ «**كيف عدت بهذه السرعة يا (أوليس) ؟**»

نظر (أوليس) إلى الرجل فى دهشة ، وفمه ملىء حتى الانفجار بالطعام .. ثم ازدرد ما به وقال :

ـ « لم آت بسرعة بل تأخرت كثيرًا أيها الشاعر قليل التهذيب .. أنت تعرف أن (الأناضول) على مرمى حجر من هنا .. لقد حدثت عاصفة أخرتنا قليلاً ويبدو أن (نيبتون) كان غاضبًا .. لكنى عدت .. »

ـ « كان المفترض أن تتأخر عشر سنوات !! »

ـ « لا أدرى ما هو المفترض .. لقد انتهت الحرب وعدت ، وهأنذا بين أفراد أسرتى الحبيبة .. لا أدرى إن كان هذا يروق لك ام لا ، لكننى لست مطالبًا بإرضائك على كل حال .. يمكنك البحث عن مطعم آخر إذا كانت الخدمة هنا لاتروق لك .. »

عاد (هوميروس) ينفخ فى غيظ ويضرب الأرض بعصاه ، ثم قال :

- « لكنك بهذا نسفت الملحمة من أساسها .. لم تعد هناك (أوديسة) !! كان المفترض أن ترى الأهوال وأن تعانى أفظع المعاناة كى أكتب أنا هذا كله ! »

نظر (أوليس) إلى (عبير) لحظة ثم إلى ابنه ، وأفرغ كأسه فى جوفه ثم انفجر يضحك كالمجانين دامع العينين :

- « نياه .. نياه !! الشاعر المجنون ! هاه هاه هاه !! حقًا إن هؤلاء الشعراء لايستطيعون الحياة من دون جنازة يشبعون فيها لطمًا !! الحب غير ممتع ، لكن لوعة الفراق هى المهمة .. الورد لاجمال له ، إلا لأن أشواكه قاسية تدمى .. ليس من الجمال فى شىء أن أعود لأسرتى ، ولكن الجمال كل الجمال أن أهلك فى أثناء الرحلة .. هاه هاه هاه !! لا أحد يكتب شعرًا عن الأزواج السعداء ، لكن الجميع يكتب عن الشهداء ومن ابتلعهم اليم .. »

صمتت (عبير) ولم تتكلم وكذا صمت ابنها بانتظار نهاية هذا الموقف ..

قال (هوميروس) فى ضيق :

- « الصعاب هى ما يصنع البطولة .. من دماء الرجال تكتب الملاحم .. »

- « لقد قاتلت ونزفت دمى عند أسوار (طروادة) ، وكتبت اسمى بحروف من نور فى (الإلياذة) .. فلم أعد مطالبًا بشىء .. لقد حق لى أن أستريح .. »

وتحسس بعض خصلات شعره التى اتخذت لون الثلج ، وقال :

- « أنا لم أعد صغير السن .. هذه نقطة .. لم يعد فى العمر متسع كى أستمتع به .. لقد تركت ابنى وهو يحبو ويتعثر فى مشيه ، واليوم هو على عتبة الشباب .. قد سرقوا منى سنى طفولته ، وهى أمتع فترة يعيشها أب .. فهل اكتفيت من التضحيات أيها الشيخ ؟ »

ضرب (هوميروس) الأرض بعصاه ثلاث مرات كما فى المسرح ، وقال :

- « لاملحمة من دون معاناة .. وأنت تخليت عن الخلود من أجل أعوام من متعة رخوة زائفة.. »

صاح (أوليس) فى غيظ وهو يطوح بالكأس لتتهشم على الرخام :

- « لم أتخل عن شىء .. لم تُعرض على المغامرة كى أرفضها .. كل ما قمت به هو أن عدت حين عاد الجميع .. »

- « كان يجب أن ترى الأهوال فى رحلة العودة ، وتعود محطمًا منهكًا .. »

إلى حد ما كانت (عبير) تفهم ما يريد (هوميروس) أن يقوله ، وتذكرت ثلاثة أبيات من الشعر من نظم (العقاد) .. بأسلوبه الصعب .. هى فى الحقيقة ترجمة لإحدى أغانى المربيات الإنجليزيات :

ثلاثة شيخة راحوا .. إلى البحر على زورق
ولو قاربهم أقوى .. ولو بنيتهم أوثق
لكانت قصتى أوفى .. وكانت قصتى أشوق

والمعنى واضح .. الشيوخ الثلاثة ضعفاء وقاربهم متهالك ، فلم يحدث شىء على الإطلاق .. ولم توجد قصة من الأساس ! إن قدومها هنا لم يكن ذا معنى إذن ..

فرغ (أوليس) أخيرًا من وجبته فتجشأ وتحسس معدته المفعمة ، ثم إنه نهض وطلب من (عبير) أن تلحق به فى حجرتهما كى يريها ما جاء لها به من طرف .. ونظر شذرًا إلى الشاعر الكفيف الذى لم ير تلك النظرة بالطبع ..

حين صارا وحيدين فى الغرفة قالت له :

- « آمل ألا أثير غيظك ، لكن هؤلاء الرجال بالخارج لم يأتوا كى يحمونى ، بل جاءوا لطلب يدى !! »

نظر لها فى غير فهم وعيناه مفتوحتان بصعوبة من فعل الشبع .. فأردفت :

- « نعم .. كانوا يطاردوننى ليل نهار كى أختار واحدًا منهم .. وكانوا ينتظرون خبر وفاتك بفارغ الصبر ، وطيلة تلك الفترة اعتبروا أنفسهم ضيوفًا عندك ، فكانوا

يأكلون ويشربون كل خيرات القصر .. ويلعبون بكل شىء فى الحديقة ، ويهينون ابنك والخدم .. وهم ينتظرون أن أفرغ من خياطة الكفن الذى أسهر عليه كى يجبرونى على اختيار عريس .. »

هزّ رأسه فى تعب ، ثم خلع حذاءه الرومانى الشبيه بالصندل ، وتمدد على الحشية ..

سألته فى غيظ :

ـ « ماذا هنالك ؟ ألن تفعل شيئًا ؟ »

قال وهو يتثاءب فى إنهاك :

ـ « كانوا يحسبوننى ميتًا يا ملاكى .. ما كانوا ليفعلوا هذا لو تأكدوا من أننى حى وعائد .. هذه الأمور تحدث .. »

ـ « يا سلام .. ألا تجد فى هذا نوعًا من تدنيس حرمة دارك ؟ »

ـ « بلى .. بلى .. لكنه انتهى الآن .. لقد عدت لآخذ مالى ، ولن يضايقك أحد ثانية .. »

قالت فى ضيق وهى تتربع على الحشية بجواره :

ـ « غريب هذا ! المفترض ـ حسب ما أذكر ـ أن تقتلهم بقوسك الجبار واحدًا واحدًا بعد ما تدبر لهم كمينًا شبيهًا بمذبحة القلعة .. »

قال لها وهو يتقلب ليوليها ظهره :

ـ « المفترض .. المفترض !! كأنك وذلك الشاعر الكريه متفقان على الشىء ذاته .. المفترض أن يكتب هو ما حدث .. لا أن يحدث ما كتبه هو !! لقد جاء هؤلاء القوم ضيوفًا على قصرى ، ولسوف يلقون معاملة الضيوف .. ثم إن عددهم كبير حقًا .. هل تحسبين أننى مهما كنت بطلاً قادر على مواجهة هذا العدد وقتله ؟ لقد تعلمت من الحرب أن أكون عمليًا .. »

ـ « المفترض أنك ستقتلهم بالخديعة .. والمكر من أهم صفات (أوليس) التى خلدته .. »

ـ « المفترض .. المفترض .. لو كانت حياتنا كتبت



وسرعان ما تعالى شخيره ، وجلست (عبير) ترمقه غير مصدقة ..

سلفًا فهى فى اللوح المحفوظ وليس فى عقل هذا الشاعر النصاب (هوميروس) .. لو سمعت حرفًا ثانيًا عما هو مفترض ، فلسوف أعود أدراجى ! »

وسرعان ما تعالى شخيره ، وجلست (عبير) ترمقه غير مصدقة ..

لقد تغير (أوديسيوس) العظيم كثيرًا جدًا بعدما رأى من أهوال الحرب ، ومن الواضح أنه نزف الكثير من دمه حتى لم تعد هناك قطرة باقية للنخوة أو الغضب ..

لشد ما ستدهش الأجيال القادمة لو عرفت أن هذا الكهل المتراخى ، الذى ينام ببطن مليئة بالجبن والزيتون ، هو نفسه (أوليس) العظيم بطل أعظم ملحمة قرأها الإنسان .. ولشد ما سيخيب أمل دارسى الأدب حين يدركون إنه لا (أوديسة) هناك ولاشىء يماثلها ..

حقًا لايوجد شىء شاعرى فى زوج عائد للبيت بعد يوم طويل مرهق .. والأدهى أنه لايجد شيئًا كريهًا فى أن يزحم فناء القصر بطالبى يدها ، كأنه ترك الغيرة

عند أسوار (طروادة) .. هذا لايضايقها كثيرًا لأن العشاق سيرحلون عند الفجر بالتأكيد .. لن يصدقوا أن (أوليس) لن يعاقبهم ، وهو الذى عرف بالمكر والدهاء ..

على الأقل إن لم تمنحها عودة المحارب أفعالاً ، فلسوف تمنحها سمعة مهيبة ..

لقد انتهت القصة سريعًا هذه المرة (ثلاثة فصول لا أكثر) ، فأين أنت أيها المرشد ؟

* * *

٤ ـ افعليها أنت !!

« وشد الوتر العرد ، وأرسل إلى حلق (أنطونيوس) سهمًا مراشًا عجل به إلى (هيدز) ، وكان العلج يوشك أن يحتسى كأسًا ذهبية من أعتق الخمور ، فسقطت الكأس من يده الذاهلة ، وسقط وهو يتشحط فى دمه ، وذعر الآخرون حين رأوا أخاهم يسقط على الأرض رمة لانفس فيها ولا حراك ، فهاجوا وماجوا وهبوا يبحثون عن أسلحتهم .. ولكن هيهات .. لقد أخفاها (أوديسيوس) وولده ليلة أمس .. فأنى لهم بها ؟!! » (*)

* * *

كان هذا هو (أوليس) العظيم الذى خلدته الأشعار والملاحم ، وليس هذا الرجل الكسول الذى راحت الأيام تكسو جسده دهنًا وشحمًا حتى كاد يغدو قطعة زبد ..

كانت واقفة فى الشرفة المظلمة ترمق البحر المتلاحم

(*) ترجمة الأستاذ (درينى خشبة) .

من بعيد ، كأن أمواجه عمالقة سود يتصارعون على الفوز بيدها ، وخيام العشاق مدثرة بالظلام فى حديقة القصر .. غدًا يرحلون جميعًا ولن تسمع عنهم ثانية على الأرجح ..

سمعت صوت العكاز يضرب الأرض من ورائها ، فالتفت لترى (هوميروس) يتقدم بقامته المحنية الواهية .. مزية هذا الرجل أنه يعرف أين هى بالضبط بسهولة مطلقة ، وكأنه من المبصرين ..

ـ « (بنيلوب) .. أهذه أنت ؟ »

ـ « لو لم أكن أنا لكنت واحدة أخرى .. هذا منطقى .. »

واصل المشى حتى وقف إلى جانبها وراح يلهث من فرط إرهاق ، ثم قال وهو يسعل :

ـ « ما رأيك فى هذا كله .. »

ـ « مثل رأيك .. أحيانًا يكون الأبطال محبطين .. يتنافون تمامًا مع صورهم الساحرة فى الخيال .. »

ـ «كان (أوليس) بطلاً .. لكن الظروف لم تمنحه البطولة الكاملة .. يبدو أن الحظ السيئ مهم للأبطال كذلك .. »

ـ « والعمل ؟ »

فكر قليلاً ، ثم قال لها فى خبث :

ـ « ما زالت جزر البحر المتوسط عامرة بالأهوال والفزع .. فقط لمن يرغب فى أن يجرب .. ما زالت فرص المخاطرة مكفولة للجميع .. والأبطال فقط هم من يبقون أحياء بعد هذا كله .. أو ـ على الأقل ـ يموتون دون أن يتراجعوا أو يركعوا طالبين الرحمة .. عندها تكتب قصصهم فى ضمير الأدب .. »

ـ « لا أفهم كل ما تتكلم عنه .. لكنى أتكلم عن التسلية .. عن المغامرة التى تقضى على رتابة الحياة .. »

ـ « إذن أنت تفهمين قصدى !! »

نظرت له فى حيرة .. وكانت بالفعل تفهم قصده .. تفهمه لكنها تخشى أن تفصح عنه .. لو لم توافق لكانت مغامرتها هنا بلا جدوى على الإطلاق .. سألته وهى تنظر إلى البحر المتلاحم المهيب :

- «وهل ستطلق على رحلتى اسم (العبيرية) ؟ يبدو لى اسمًا سخيفًا إلى حد ما .. »

- « بل (البنيلوبية) .. ولسوف تكون أعظم ملحمة كتبها إنسان .. الجديد هنا أنها ستكون من بطولة امرأة ، ونحن لم نعرف ملاحم كثيرة بطلتها امرأة ، اللهم إلا لو اعتبرنا رحلة (إيزيس) بحثًا عن أشلاء زوجها ملحمة .. وهو شىء كان نقاد الأدب سيرفضونه ، لأن الملحمة يجب أن تحكى بالشعر عن أحداث هائلة عظيمة الأثر فى حياة البشر ، وإن تمزج البطولة بالخرافة بشكل متجانس .. »

« الجديد هنا أيضًا أن معظم ملاحمى تبدأ من المنتصف ، وتستخدم أسلوب القصة داخل القصة .. داخل القصة .. هذه الملحمة ستبدأ من النهاية وبشكل عكسى !! »

فكرت قليلاً ولم تعط إجابة عاجلة ..

* * *

وسألت (أوليس) حين صحا من النوم ، وجلس فى الفراش يلتهم الشواء ويشرب لبن الماعز :

- « أنت متأكد من أنك لاتريد المجىء معى ؟ »

قال وخيط من اللبن يسيل على جانب فمه :

- « أنت مخبولة تمامًا .. لقد عدت من حرب ضروس وحق لى أن أستريح .. عجبًا للنساء !! كل ذنب فعلته هو أن عدت لزوجتى ، فإذا بها لاتطيق ذلك ، وكأنها كانت تريد أن تعود رفاتى أو أن أدفن فى إحدى الجزر المجهولة .. وإننى لأسألك بكل صدق : ماذا يفعله الرجل لإرضاء زوجته أكثر من أن يخوض حربًا لمدة عشر سنوات ؟! »

« إن كانت الرجولة هى الندوب فقط امتلأ جسدى بها .. وإن كانت شدة البطش فسلى أهل (طروادة) عن (أوليس) وكيف حارب إلى جوار (أخيل) و(أجاممنون) و(باتروكلوس) .. ألا يحق لى إذن أن أنام يا امرأة ؟؟ »

قالت فى ضيق :

- « حسن لا أطلب شيئًا خاصًا .. ليكن ما يكون ..

سأذهب لقطع رحلتى وحدى ، وكل ما أطلبه سفينة وبعض الرجال .. سآخذ (هوميروس) معى .. »

- « لا أحد يريد هذا العجوز المولول .. خذيه .. »

ثم سألها وهو ينهض من فراشه :

- « هل لديك أية فكرة عن مسار الرحلة ؟ »

- « سنتَرك الأمر للظروف .. »

كان أحد الباحثين الفرنسيين المعاصرين .. وهو (فكتور بيرار) .. قد جرب أن يعيد رحلة (أوليس) فى أثناء العودة ، وبدلاً من أن يحمل معه خارطة حمل (الأوديسة) نفسها .. وقد أثار دهشته أنه استطاع أن يعرف كل الأماكن التى زارها (أوليس) بدقة بالغة .. يبدو أن (هوميروس) زار هذه الأماكن فعلا ، أو جلس طويلاً يصغى لحكايات البحارة ..

وقد أمكنه أن يصف الرحلة بالترتيب التالى :

1 - طروادة (الأناضول) كما قلنا .
2 - بلاد اللقلق (فى تراقيَا على الأرجح) .
3 - بلاد أكلة البردى (مكان ليبيا اليوم) .
4 - أرض العمالقة (كوما) .
5 - مملكة أبوللو (سترومبولى) .
6 - أرض القتلة (غالبًا هى مالطة) .
7 - الساحرة (تشيرشى) (إيطاليا) .
8 - جزيرة عرائس البحر (كابرى) .
9 - مضيق مسينا .
10 - جزيرة الشمس (صقلية) .
11 - كاليبسو (عند مضيق جبل طارق) .
12 - جزيرة (كورفو) .
13 - جزيرة (إيثاكا) .

طبعًا سيكون عليها أن تقطع هذه الرحلة بالعكس حتى تصل إلى (الأناضول) لكنها لاتعرف ذلك، لأنها لاتذكر من (الأوديسة) إلا أطيافًا متناثرة، لكن ثمة نقطة فى صالحها: (هوميروس) العجوز معها.. وهو يعرف الطريق جيدًا ويعرف ما يتكلم عنه.. وبالتأكيد يتحرق شوقًا كى يعيش أحداث هذه الملحمة التى هى (أوديسة) من نوع جديد مقلوب..

ولم يكن إقناع (أوليس) صعبًا، فهو بالفعل راغب فى أن يعيش فى هدوء.. المشكلة هى أنه رفض أن يرافقها ابنه (تيلماك) لأنه لايريد أن يفقد وريث عرشه، وهو متأكد من أنها لن تعود..

وتم إعداد سفينتين من أجل هذه الحملة، ومرت أيام معدودة، ثم جاء النهار ومعه أنفاس (أورورا) - الفجر - الرشيقة فوق مياه البحر المتوسط، وقد وقفت (عبير) مع (هوميروس) على ظهر سفينتهما يرقبان ساحل (إيثاكا) الذى يذوب الآن تدريجيًا فى خط الأفق..

وكان على (عبير) أن تكتب ملحمتها الخاصة..

* * *

٥ - بدايات..

من بعيد تلوح جزيرة (كورفو) الجميلة..

على الشاطئ نرى الخضرة والوجه الحسن، والجميع يلوح بيده داعيًا المسافرين إلى المجىء ها هنا..

صاح أحد البحارة المائة أنهم يمرون قرب (كورفو)، فنظرت (عبير) إلى الشاعر الكفيف الذى وقف ينشق أنسام البحر فى نهم.. ولما رأته لايعلق بشىء سألته:

- «(كوركو).. حسبت أن لنا دورًا فيها..»

- «لا.. دور (كوركو).. بالنسبة لـ (أوليس) كان أنهم يستضيفونه لدى عودته.. تهيم به ابنة الملك الحسناء (ناوزيكا) إعجابًا؛ لأنه زارها فى أحلامها من قبل مرارًا..»

حقًا هو (شريف)! ولابد أن (ناوزيكا) هذه تشبه (رانية)! كذا فكرت (عبير) وضغطت على أعصابها.. ربما كان من حسن الحظ أنه لم يمر هنا أصلاً..

أردف (هوميروس) :

ـ « فى البداية يسخر منه الشاب لأنه بدا لهم مهدمًا لايوحى بالبطولة ، لكن الملك يوبخهم ويحسن وفادة ضيفه .. وعلى مائدة العشاء ووسط أفخاذ الحملان المشوية يحكى لهم (أوليس) كل ما مر به منذ غادر (طروادة) .. يحكى لهم ثلاثة أرباع ملحمة (الأوديسة) .. ثم يزوده الملك المنبهر بالسفينة اللازمة كى يعود لوطنه وينهى الربع الأخير من القصة .. »

قالت فى فهم :

ـ « كما تقول أنت إذن .. (الأوديسة) تبدأ من منتصف الأحداث وليس من البداية .. لالزوم إذن للنزول ضيوفًا عند الملك ، لأنه ليس لدينا مانحكيه ، ولأننى لاأموت شوقًا كى أرى ابنته الحسناء .. »

ـ « لقد فهمت .. لن نتوقف إلا فى جزيرة (كاليسو) .. »

* * *

بعد أيام من الإبحار فى البحر المتوسط وصلوا إلى مضيق جبل (طارق) ..

إن الإبحار أيامًا فى (فانتازيا) لايستغرق إلا الوقت الذى تستغرقه قراءة هذا السطر .. وهذه هى مزية الأدب .. إنه يختصر الوقت ، ويضيف قرونًا من الخبرات إلى عمرك ، بينما يمكن لرحلة كهذه فى الواقع أن تقتلك مللاً ، خاصة مع بحر هادئ خنوع كالذى كانت سفينتنا (عبير) تبحران فيه ..

ويبدو أن (نبيتون) سمع ماتقول ، لأن السماء صارت سوداء تمامًا ، ثم راحت الصواعق تتناثر فيها كأنما شروخ فى قبة زجاجية توشك على أن تتهشم .. وهطل المطر مدرارًا ..

راحت العواصف تهب عنيفة كاسحة على السفينة ، وراحت جبال الماء ترتفع وتهبط إلى أعمق الأعماق ، حتى كأن السفينة دمية فى يد غلام مجنون يريد تحطيمها بأسرع الطرق وأسهلها ..

هرعت (عبير) مع أحد البحارة تجر الشيخ التعس إلى قاع السفينة .. كان يرتجف ويبصق الماء ، ويحاول عبثًا أن ينشد الشعر ، لكن كلما فتح فاه ـ لحسن الحظ ـ كان الماء المالح يملؤه ..

وشعرت (عبير) من الاهتزازات أن أمعاءها تعوم ، وأن ما أكلته من شهور يتجمع هناك فى مؤخرة حلقها .. وتدريجيًا اخضر العالم ، وبدت لها أرض السفينة رخوة لزجة ، ومستواها يتغير من ثانية لأخرى .. أحيانًا ترتفع حتى ذقنها وأحيانًا تصير بعيدة جدًا ..

وقالت لنفسها وهى تقىء على حاجز السفينة :

ـ « دوار البحر ! أنا مصابة بدوار البحر !! »

لكن الأمر كان أسوأ من هذا .. وراح البحارة يصرخون ويربطون حبالاً ما من التى يربطونها دائمًا .. هناك من يجرى ومن يتعثر ومن يسقط فى الماء .. وأدركت أن السفينة لن تتحمل .. لاشىء فى العالم يتحمل هذه المرتفعات والمنخفضات .. لاتوجد

يايات تتحمل كل هذه المطبات المائية ، لو كانت للسفينة يايات .. إنها ترى من بعيد أعمدة (هرقل) التى صنعها المذكور بلكماته إلى الجبل ، والتى سماها الجغرافيون بعد هذا بـ (مضيق جبل طارق) .. لكنها لن تعيش لتراها هذه المرة ..

ولاتدرى متى ولاكيف ارتفعت السفينة للمرة الأخيرة ، ثم انقلبت ، ووجدت نفسها تسبح فى سائل بارد مالح .. إنه يتسرب إلى رئتيها .. إن الظلام قادم ..

هل هى النهاية ؟ لو ماتت فى (فانتازيا) لماتت فى عالم الواقع ، والذين لايصحون من نومهم فى الصباح كثيرون ، ربما لأنهم حلموا بالموت ..

لكنها لم تمت ..

وحين أفاقت من غيبوبتها ، كانت ترى نور النهار من حولها ، وأدركت أنها راقدة فوق الرمال جوار قطعة خشب ، غالبًا هى التى أنقذتها .. كانت أجساد الرجال متناثرة هنا وهناك لكنها قدرت أن أكثرهم حى يرزق ..

ماذا عن السفينة الثانية ؟ أتراها تهدمت ؟

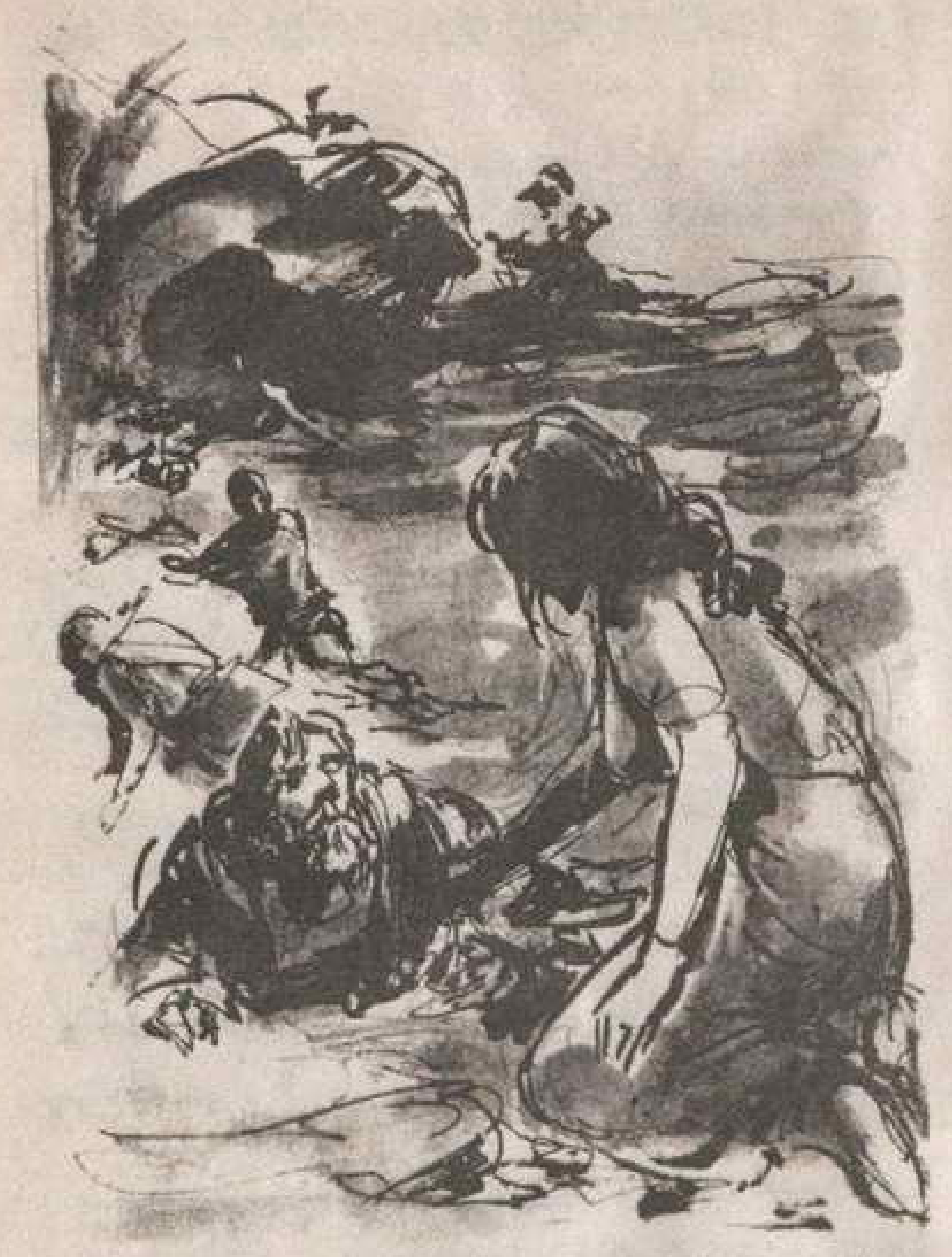
نهضت وهى تبصق الماء المالح الذى جعل النار تشتعل فى أحشائها ، وراحت تتعثر باحثة عن ... عن الجسد العجوز المنهك الذى يصعب أن يتحمل مغامرة كهذه .. وكان هناك بالفعل .. لكنه كان حيًّا .. كان أشبه بقنديل بحر ميت رماه الماء هناك ، لكنه كان حيًّا ، ولو مات لكانت فى مشكلة .. إذ كيف يختار المرء (الأوديسة) من دون (هوميروس) ؟

هزته مرارًا حتى نهض .. صاح وهو يرفع وجهه المبلل للسماء :

ـ « ويحى !! لقد غضب (نبيتون) منا لأننا لم نقرب له القرابين ، وأرسل علينا الأمواه والعباب تقتلنا ! »

ـ « لكنها لم تفعل .. وعلى كل حال لست متحمسة لموضوع القرابين هذا .. لن أطلب رضا إله وثنى حتى فى (فانتازيا) .. لقد كانت عاصفة وانتهى الأمر .. »

فى اللحظة التالية هب الرجال على أقدامهم مبهوتين ..



وراحت تتعثر باحثة عن .. عن الجسد العجوز المنهك الذى يصعب أن يتحمل مغامرة كهذه .. وكان هناك بالفعل .. لكنه كان حيًّا ..

كان المشهد القادم من بعيد شبيهًا بالحلم .. ولابد أن بعضهم حسب أنه مات ورحل إلى النعيم ، لكن (عبير) - باعتبارها أنثى - ظلت محتفظة بقواها العقلية ، ولم تشعر إلا بالغيظ ..

هذه حسناء .. حسناء بارعة الجمال .. هذا هو مايمكن قوله ، كما أنك تصف سيمفونيات (موتسارت) بأنها (جميلة) .. لابد من أن تسمع السيمفونية وأن ترى ما رآه هؤلاء القوم لتفهم .. لكن (عبير) لم ترتح لها كثيرًا خاصة وأن ملامحها ذكرتها بملامح معينة رأتها فى عالم الواقع ..

وتصايح الرجال فاغرى الأفواه فى افتتان :

- « حورية !! هذه حورية ! »

فقال (هوميروس) الذى لم ير شيئًا لذا ظل محتفظًا بقواه العقلية :

- « طبعًا ياحمقى .. هى حورية .. نحن فى جزيرة الحورية (كاليبسو) .. أغلقوا أشداقكم لو كانت مفتوحة

وابتلعوا لعابكم إن كان يسيل .. فمغامرتنا هنا ليست بهذه البساطة .. »

كانت الحورية قد دنت أكثر ، ومن الغريب أن عطرها كان يفوح من مسافة عشرة أمتار ، وأن طيورًا صغيرة كانت تحوم حولها كما يحدث فى أفلام (ديزنى) .. وقالت وهى تطوح بشعرها فى الهواء .. شعرها الذى يوشك على أن يجرف الرمال جرفًا :

- « مرحبًا بكم فى جزيرة (كاليبسو) .. يؤسفنى أننى لا أتلقى الكثير من الزيارات هنا ، لكنكم بحارة منهكون جائعون ، وقد حقت على ضيافتكم .. »

كان كلامها حين تكلمت جديرًا بأن تقوله حورية .. وتصايح الرجال فى بلاهة حتى إنهم نسوا من مات منهم غرقًا فى اليم .. بينما دنت الحورية من (عبير) وعانقتها فى حرارة :

- « من أنت أيتها الحسناء ؟ »

قالت (عبير) فى جفاء وغلظة :

- « أنا (بنيلوب) زوجة (أوديسيوس) .. (أوديسيوس) ابن (ليرتيس) ملك (إيتاكا) .. المعروف فى السماوات بالدهاء والمكر، وملك (نريوس) ذى الشعاف السامقة .. »

تبدل وجه الحورية لربع ثانية .. ثم عاد إليها إشراقها ، وأشارت للوراء إلى حشد من الجوارى بارعات الحسن ، كى يصطحبن الرجال ويكرمن وفادتهم .. وهلل الرجال الذين لم ينتظروا دعوة كهذه ، على حين مال (هوميروس) على أذن (عبير) وهمس :

- « ماكان لك أن تخبريها بكل هذه التفاصيل .. كانت (كاليبسو) تنتظر أن يرمى اليم لها بـ (أوديسيوس) ، وكانت تتمنى أن يتزوجها ويعيش معها هنا إلى الأبد .. فى الحقيقة كان المفترض أن يعيش معها سبع سنوات كاملة حتى يتدخل سادة (الأوليمب) ويأمروها بإطلاق سراحه .. الآن كانت هذه الحسناء تنتظر (أوديسيوس) فإذا باليم يلقى لها زوجة (أوديسيوس) !! لاتتوقعى أن تعاملك بالكثير من اللطف إذن !! »

نظرت إلى الحورية فى غل ، وهمست :

- « كان سيعيش مع هذه سبع سنوات كاملة؟ لا أفهم نوق هؤلاء الرجال أبدًا .. لابد أنها أجبرته على نلك ! »

- « فى البداية كان سعيدًا مستمتعًا .. ثم بدأ يشتاق إلى زوجته الحبيبة وابنه .. »

- « اشتاق إلينا بعد سبع سنوات ؟! لكم من تضحيات عاناها هذا المسكين !! وأنا التى جلست كالحمقاء أنسج الكفن ليل نهار كى لايتطاول على أحد هؤلاء العشاق !! »

- « لاتنسى أنه لم ير (كاليبسو) قط .. أى أنك تحاسبينه على ذنب لم يفعله .. »

صفقت (كاليبسو) بيديها وصاحت فى مرح :

- « والآن أيتها الحسناء .. لابد أنك مرهقة ولا أرى مايدفع إلى إطالة الكلام الهامس مع شيخك اللطيف هذا .. »

وارتبك (هوميروس) فهو لم يعتد أن يرى فيه أحد شيئًا من اللطف .. وتلعثم ، وارتسمت على وجهه بسمة

بلهـاء ، فاستشـاطت (عبير) غيظًا .. حتى أنت أيتها المومياء المتحركة وقعت فى سحر الحورية ..

* * *

فى قصر الحورية (كاليبسو) :

كان الأمر شبيهًا بالحلم كظهورها بـالضبط .. كـانت هناك صالة كبرى مدت فيها الموائد ، وذبحت الشـياه السمينة وشويت ، على حين راح عازف كفيف يعزف على قيثارة ، ويغنى بصوت رخيم .. وجلس البحارة يضحكون ويمرحون ، وقد اغتسلوا جميعًا وارتدوا أفخر الثياب العطرة .. وعشر راقصات كالبدور يرقصن ذلك الرقص اليونانى المميز الذى هو أقرب إلى حركـات (الجمباز) ..

الكل كان منتشيًا ذاهلاً ما عدا اثنين من الجالسـين .. اثنتين لو شئنا الدقة .. (كاليبسو) وضيفتها ..

راحت (كاليبسو) ترشف من كأسـها وهـى ترمق (عبير) من خلال الزجاج ، كما تفعل الجاسوسات فى الأفلام الرديئة ، ثم مالت نحوها وهمست فى ثبات :

ـ « أنت حسناء حقًا .. »

ـ « شكرًا لك .. ليس إلى هذا الحد .. »

ـ « ربما لو استثنينا أنفك الأفطس قليلاً وتسريحة شعرك التى لا تلائمك ، لقلنا إن وجهك فى تمام سحره .. إننى لأسائل نفسى عن السبب الذى جعل (أوليس) بطل الأبطال يختار واحدة لها هذا الأنف .. معذرة .. لا أعنى شيئًا مما فهمت ، لكن (أوليس) ـ وأنت توافقيننى ـ بطل الأبطال ، وبوسعه أن يختار من يشاء من جميـلات الأرض لتكون زوجته .. »

قالت (عبير) والنار تخرج من منخريها :

ـ « أنت أيضًا لست ملكة جمال أيتها الحورية .. »

ـ « دعينا لا نختلف من أجل هذا ولننعم بحفلنا .. »

وراحت تهز رأسها يمينًا ويسارًا مستمتعة بصوت المغنى الرخيم .. ثم بعد دقـائق أضـافت وهى تتأمل يدى (عبير) إذ تلتهم شريحة من لحم الشاه :

ـ « أنت حسناء حقًا لكنى لا أشعر أن يديك على

نفس المستوى من الرقة .. لو تركنا لخيالنا العنان لقلنا إنهما مخلبا ضبع ينشبهما في أحشاء فريسته، خاصة لو لاحظنا شراهتك الزائدة في الأكل .. »

شعرت (عبير) بأنها تبتلع الطعام بالسم، فقالت وهي تزدرد ما بفمها حتى لا تختنق .. لكن .. لا .. لم تقل شيئًا .. إن عدم الرد قد يكون أفضل في هذه المرة .. فقط مالت على (هوميروس) وهمست :

ـ « متى تتركنا هذه الأفعى نرحل ؟ أنا لم آت هنا كي أمنحها فرصة التسلية .. »

قال بفم مليء باللحم حتى إنه ليتساقط منه :

ـ « لا أراها أفعى .. ثانيًا لا أعتقد أنها تمانع لو رحلنا الآن .. فنحن لا نمثل لها بالتأكيد ما كان سيمثله (أوديسيوس) .. المشكلة هي أن تقتنع الرجال بذلك .. لاحظي أن (أوديسيوس) كان يملك نقطة تميزه عنك : كان رجاله يحبونه، وكانوا عائدين إلى الوطن .. أما أنت فلا علاقة لك برجالك، وأنت تبعدينهم عن الوطن في الواقع .. »

نظرت للرجال المستمتعين الغافلين وشعرت بالقلق .. حقًا لا يوجد أي سبب يقنع هؤلاء بالرحيل معها .. إن ما تقدمه لهم غامض ومخوف ومليء بالأهوال .. بينما هم هنا .....

* * *

٦ ـ قطعان الشمس ..

كانت هناك سفينة واحدة باقية لم تؤذها العاصفة .. وكان من السهل إصلاحها بعد ما انتهت العاصفة وتلاشى غضب (نبيتون) ـ وهو دائمًا حانق على كل حال ـ وقد ذهبت (عبير) فى الصباح مع بعض رجالها المخلصين لزوجها ، فصعدوا إلى السفينة الجانحة عند الشاطئ ، وحددوا مكان العطب فيها .. وبدأ الإصلاح على قدم وساق ..

كانت المشكلة الآن هى إقناع الرجال بالرحيل .. ولم يكن أى منهم متحمسًا لهذا حتى (هوميروس) نفسه .. وقد راحت (عبير) تردد لنفسها : « الرجال ! هكذا الرجال ! مجرد أطفال خائرى العزيمة .. » ، بينما كان البحارة يلاحظون حماسها وعصبيتها ، فيتغامزون ويقولون لبعضهم : « النساء ! هكذا النساء ! ضع امرأتين فى مكان واحد ، ولسوف تشعل الغيرة نارًا أعتى من نيران (فولكان) .. »

لكن الحل جاء وبسهولة غير متوقعة .. لقد كانت (كاليبسو) ـ التى فتحت قصرها للجميع ـ تملك مجوهرات نفيسة من كنوز الأوليمب .. لاتصدق العين أنها تراها ، ولاتصدق الأصابع أنها تلمسها .. وقد كان ماحدث بعد هذا متوقعًا للغاية .. اختفت بعض المجوهرات وجن جنون الحورية .. وكانت (عبير) تفهم جيدًا أن السيطرة على كل البحارة مستحيل ..

لقد راحت أصابع الشك تحوم حول رجال (عبير) ، وتم تفتيشهم بقسوة وعناية لكن المجوهرات لم تظهر ..

وكانت (كاليبسو) قوية ، لكنها قوة الأنوثة وجبروتها ، وما كانت تملك الوسائل التى تنتزع بها سر المجوهرات من ضيوفها هؤلاء ، لذا اكتفت بأن طردت الجميع طردًا مهينًا ، وتمنت أن يغدر بهم (نبيتون) وأن تتلذذ وحوش البحر بأجسادهم ..

ـ « لو كان (أوليس) هو القائد وليست زوجته البشعة ، لما جرؤ البحارة على اقتراف شىء كهذا .. »

وعندما جاء الأصيل كانت السفينة تبحر وعليها من بقى من البحارة ..

وقف (هوميروس) جوار (عبير) على حاجز السفينة يرمقان - أو ترمق هى - أعمدة (هرقل) تتوارى فى الأفق .. هنا مدت يدها إلى قطعة صغيرة من الخشب ربطت إليها لفافة صغيرة ، وفردت ذراعها وطوحت بها إلى اليم المتلاطم ..

شعر بالحركة فسألها عما رمته إلى اليم .. قالت فى لامبالاة :

- « لاشىء .. مجرد لفافة بها بعض المجوهرات !! آمل أن يحملها الموج إلى الشاطئ ثانية .. »

- « أنت أخذتها بنفسك ؟ »

- « ماكانت لتفتش زوجة (أوليس) أو تشك فيها .. كانت هذه هى الطريقة الوحيدة كى نُطرد !! »

* * *

مضت أيام فى البحر ، و(عبير) تقضى الوقت بين الوقوف جوار (هوميروس) لمشاهدة الأمواج والدرافيل التى تتسابق خلف السفينة ، وبين النوم فى قمرتها .. خطر لها أنها على الأقل تجرب سياحة البحر المتوسط ، وماكانت غريبة عليها لأنها عاشتها مع (شريف) من قبل .. لكن السياحة فى هذه المرة تختلف .. إنها فى سفينة خشبية ذات مجاديف وأشرعة .. وبالمجان .. وفى صحبة أغرب دليل يمكن للمرء أن يقابله : (هوميروس) شخصيًا ..

الآن يدنون من جزيرة كبيرة إلى حد ما ، تنبعث منها أصوات ثغاء الغنم .. ويعرف (هوميروس) هذا فيقول لها :

- « إنها (صقلية) .. هكذا تطلقون عليها يومًا ما ، وتتهمونها بأنها الوطن الذى جاء منه رجال المافيا جميعًا .. أما نحن فنسميها جزيرة الشمس ، ولها مزية مهمة هى أن (أبوللو) يحتفظ بقطعان أغنامه هنا !! »

- « أى أنها حظيرة كبرى ! »

- ومعنى هذا أن علينا ألا نتوقف هنا أبدًا .. إن لهذه الأرض أخطارها .. »

لكن البحارة بدوا غاضبين موشكين على التمرد ، وهم على كل حال لم يكونوا فى خير حالات الولاء لقائدى رحلتهم : الفتاة والشيخ المكفوف .. إنهم يتمردون كلما لم يرق لهم شىء ما .. وتصايحوا بأنهم راغبون فى الرسو على هذه الجزيرة الخصبة الفيحاء ، على سبيل التقاط الأنفاس .. هذا من حقهم وهم الذين انتزعوا من جنة (كاليبسو) ، ويقطعون البحر نحو هدف مجهول خطر ..

لم تجد (عبير) مفرًا من القبول ، خاصة وأن (يوريلاكوس) وهو يلعب دور ضابط السفينة ، ويبلغ أوامرها خفيضة الصوت المهذبة إلى الرجال بصوته الغليظ مازجا إياها بالسباب البحرى المناسب .. (يوريكلاوس) هذا بدا بدوره مصرًا على الرسو قرب سواحل جزيرة الشمس هذه ..

هنا صاح (هوميروس) منذرًا الرجال :

- « ليكن .. لكن فاعلموا أن القطعان هنا كلها قطعان (أبوللو) نفسه .. إياكم إياكم أن تذبحوا أية شاة أو خروف هنا مهما ألحت عليكم المسغبة .. »

هزوا رءوسهم على سبيل الوعد ، وإن أدركت (عبير) أنهم لن ينفذوا الأمر .. هذه طبائع الأمور .. هم فقط ينتزعون القبول من فم العجوز ، وحتمًا لن ينفذوا الأمر .. ولكن ماذا يحدث بعدها ، وما مدى غضب (أبوللو) ؟ من الخير ألا تفكر فى هذا الآن ..

مر يومان على الجزيرة على خير .. فهم يأكلون مما معهم من طعام بلا مشاكل .. يعيشون كالنباتيين وسط هذه القطعان هائلة الحجم كثيرة الدهن .. ثم جاء الاختبار ..

جاء فى صورة عاصفة عاتية أرغمتهم على البقاء بالجزيرة وقتًا أطول ، وكان أن تناقصت الجراية يومًا بعد يوم ، وصار منتهى طعام البحار منهم حفنة من البقسماط يبللها ببعض الخل ويلتهمها ، لكن الماء كان

متوفرًا وبكثرة ، ومعه العشب لو خطر لأحدهم أن يقلد السوائم ..

وفى النهاية انتهز الرجال فرصة نوم (عبير) وغفلة (هوميروس) ، واحتملوا عددًا من الخراف السمينة إلى طرف الجزيرة وذبحوها .. ثم راحوا يشوون الأفخاذ .. كان حرق الأفخاذ وصب الخمر فى النار نوعًا من القرابين المفضلة عندهم ، وكأنهم بهذا يخلون مسئوليتهم ويرضون سادة الأوليمب .. ثم إنهم راحوا يشوون الأحشاء والكبد ، وأكلوا بدورهم فى نهم كالذئاب ..

ـ « ماذا فعلتم يا مخابيل ؟ تأكلون قطعان (أبوللو) ؟!! »

كان هذا هو (هوميروس) الذى صحا من النوم على ريح الشواء ، وجن جنونه .. لكن أحد الرجال قذف له بقطعة من (بيت الكلاوى) كى يصمت قليلاً .. والحقيقة أن مذاقها راق للشيخ الجائع ..

بدورها نهضت (عبير) وفهمت المأساة .. وإن دهشت من خبل هؤلاء القوم ، الذين قاموا بكل هذه التضحيات كى يحرقوا الأفخاذ ولا يذوقوها ويأكلوا الأحشاء .. باختصار هم يأكلون ما كان يدعى فى عالمنا (سقط السلخانة) فبماذا أفادوا إذن ؟

لكنها شعرت بالخطر .. بالتأكيد شعرت بالخطر ..

قالت وهى تسعل من رائحة الدخان التى حركت الجوع فى أحشائها :

ـ « هلموا ! لم يعد من المستحب أن نبقى هنا لحظة واحدة .. لقد هدأت العاصفة ، فلنهرع إلى سفينتنا ونبتعد ، ولكن ناولنى قطعة من هذه الكبد المشوية قبل أن نرحل ! »

* * *

ولماذا هدأت العاصفة ؟ طبعًا كى يحسب هؤلاء الحمقى أنهم آمنون ، ويعودوا للبحر ثانية حيث ينتظرهم انتقام (أبوللو) .. وهكذا ما إن ابتعدوا عن الجزيرة

قليلاً حتى ثارت الأمواج وهبت الرياح ورعدت الرعود وبرقت البروق ..

من جديد عادت السفينة تتواثب لأعلى وأسفل ، كأنما تصعد جبال (الهيملايا) وتهبط إلى أعماق أعماق المحيط الهادى فى آن واحد .. وتم إنزال (هوميروس) البائس إلى أسفل حتى لايغريه الماء بالسباحة ، وربطت (عبير) خصرها إلى حاجز السفينة بحبل .. لم تكن تفقه شيئًا من فنون البحر ، لكنها شعرت بأن عليها أن تكون مع رجالها حتى وإن لم تفدهم بشىء .. وراحت الأمواج تتنافس مع بعضها أيها أعلى ، وأيها أقدر على تحطيم السفينة ..

حقًّا مضى الليل فى جحيم مستمر ، لكن المياه هدأت قليلاً فى الصباح .. وشعر القوم لأول مرة أنهم ربما ينجون من هذا المأزق .. وصعد (هوميروس) إلى السطح الزلق المبتل ، وتشمم هواء الفجر الذى عطرته (أورورا) الجميلة بردائها الوردى ، وسألهم فى انتعاش كمن نام تسع ساعات مريحة متواصلة :

ـ « ماذا أعددتم للفطور ؟ »

نظر له الرجال فى غيظ ، هم الذين لم يغمض لهم جفن طيلة الليل ، ولم يرد أحد .. قالت له (عبير) وهى تمسك بيده كى لا يتعثر :

ـ « لا يوجد ما يؤكل إلا الأخبار الطيبة .. أعتقد أننا قد نجونا من غضبة الأخ (أبوللو) .. »

ـ « بل هو ساقنا إلى حيث يريد بالضبط ! هذه لعبة شطرنج كونية يا بنيتى ونحن نتجه إلى حيث يريدنا الخصم .. »

ثم دنا من أذنها وهمس فى حذر :

ـ « هل يسمعنا أحد من الرجال ؟ خذينى إلى حيث لا يسمعنا أحد .. »

ـ « ليكن .. »

وأمسكت بيده المعروقة الواهنة ، واقتادته إلى الميمنة .. لابد أنها الميمنة لأنهم يسمون الناحية الأخرى الميسرة ، واستندت على حبل غليظ ، وسألته :

ـ « ماذا تريد قوله ؟ »

قال وهو يرتجف هلعًا وتوجسًا ، حتى إن بياض عينيه ازداد نصوعًا واتساعًا :

ـ « نحن ندنو من مضيق (مسينا) !! أشعر بهذا وأتوقعه وأحسه !! »

ـ « هذا مخيف .. ولكن ما معناه ؟ »

ـ « نحن ندنو من (شيلا) المخيفة وعين (كاريدى) !! »

* * *

٧ ـ شيللا ـ السرينات ـ وأشياء من هذا القبيل ..

فيما بعد عرفت (عبيو) ما غاب عنها من حقائق الحياة ..

شيللا هى وحش من وحوش الأساطير الإغريقية الموجودة تحت كل حجر .. هولة كما يترجمها الأستاذ (درينى خشبة) ، ويصفها كذلك بأنها « ليست مخلوقًا يجوز عليه الفناء .. بل هى غول سرمدى شديد المراس ، شكس شديد الشراسة ، لايغالب أحدًا إلا غلبه » .. لها صوت عواء مريع يثير ذعر الأشباح نفسها ، وهى تعيش فى كهف فى صخرة وسط البحر .. لها ستة أعناق يحمل كل عنق رأسًا سام الأسنان .. ولها اثنتا عشرة قدمًا .. وهى ـ كالعادة ـ تتوارى بكل جسدها داخل الكهف فلايبرز منها سوى الأعناق الستة التى تلتهم البحارة بتلذذ جدير بها ..

هل ترى أن (شيللا) سيئة ؟ بالطبع هناك أسوأ دائما .. فعلى الجانب الآخر من المضيق توجد عين (كاريدى) التى تمتص مياه البحر ، ثم تلفظه طيلة اليوم .. أى أن المرور بجوارها بمثابة انتحار ، لأنه يعنى أن تمتص سفينتك إلى أعمق الأعماق .. ثم تلفظها إلى السطح وقد تحولت إلى أعواد ثقاب ..

إن الأساطير الإغريقية كما ترى تعج بالأخطار الشنيعة ، وهى بهذا لا تختلف كثيرًا عن المشى فى الشارع هذه الأيام ، وإن كان أحد منا لم يظفر بملحمة واحدة تكتب تخليدًا له ..

وما العمل إذن ؟

لو كانت (عبير) تذكر دراستها التجارية ، لتذكرت أن حساب التكاليف يجعل (شيللا) هى الاختيار الأفضل .. ستة رجال تبتلعهم لكن السفينة نفسها تنجو ، بينما عين (كاريدى) لاتعرف المزاح ولاتترك ذكريات وراءها ..

* * *

سألت (عبير) دليلها الكفيف :

ـ « ماذا عسانا نفعل ؟ »

ـ « سنمر طبعًا .. ولكن من ناحية (شيللا) .. »

ـ « هل أنذر الرجال ؟ »

ـ « لا أرى لهذا داعيًا لأنك ستسببين ذعرًا وتمردًا لايمكن مقاومتهما .. فلنترك الحظ يتحكم فى أقدارنا .. أما أنا فبالطبع لا بدّ من أن أتوارى فى جوف السفينة كعادتى لأننى شاعر رقيق .. تصورى ماسيخسره الأدب لو مت أنا .. بينما لن يفيد الرجال شيئا من التهامى ، ولن تفيد (شيللا) شيئًا .. »

وقبل أن تناقشه أصدر تعليماته إلى (يوريكلاوس) كى يصدر تعليماته للبحارة بصوته الجهير الغليظ ولغته المليئة بالسباب .. ثم هرع يتوكأ على عصاه قاصدًا جوف السفينة لينظم المزيد من الشعر الذى يصف الموقف ..

هنا كان صوت العواء يتعالى كئيبًا مخيفًا ينذر

بالشؤم ، وكأنه شيطان يذبح فى سقر .. حتى لتتمنى الموت كى لاتسمع هذا الصوت ثانية .. إلا لو كان هو صوت الموت نفسه وهذا ليس مستبعدًا ..

ودنا الهول القادم ، ورأى الرجال المشهد المهيب الرهيب فتصايحوا .. وتدافعوا ..

كان الكابوس يتكون من شطرين .. على اليمين ترى الأخت (شيللا) بارزة من كهفها وأعناقها الستة تتلوى فى تلمظ ، بينما على اليسار تُرى العين التى لاتنى يفور ماؤها ، ثم يغور ..

هتف البحارة وهم يتراجعون للوراء :

ـ «مستحيل .. هذا لن يكون .. لن نمر من هنا !!»

لكن أوان التراجع كان قد فات ، والسفينة لاتملك فرامل سيارة .. إنها تمشى مع الماء عبر المضيق عاجزة عن الارتداد .. وهتفت (عبير) وهى تقف وسطهم فى مكان بارز متصلبة :

ـ « لاجدوى من التوارى مع العجوز لأن (شيللا)

وقتها ستقلب السفينة كلها .. سنمر من جهة اليمين .. أغمضوا العيون واصبروا .. إن هى إلا لحظات أليمة وتنتهى ! »

وبالفعل أغمضت عينيها وضغطت على أسنانها ..

إن للوحش حرية مطلقة فى اختيار فرائسه الست .. ولو كانت هى المختارة فلن تشعر إلا بأسنان حداد تحيط بصدرها وترفعها لأعلى .. وبعدها ؟ هل يجىء الموت بسرعة أم يتأخر كالعدالة ؟

كانت تعرف سرعة السفينة وتسمع صوت الماء وضربات المجاديف .. وقدرت أنهم الآن فى مجال افتراس (شيللا) .. إنهم أمامها الآن .. إنهم يمرون تحت الكهف .. إنهم ..

لاااااه !! صرخة متوسلة مريعة .. هذا واحد لن يبيت معهم الليلة .. لاااااه ! واحد آخر .. آهههههه !! ثلاثة .. الرحمااااه ! هذا هو الرابع .. وحبست أنفاسها وتذكرت أنها فى مكان بارز وأنها ملفتة للنظر باعتبارها

ترتدى ثوبا طويلا وشعرها أشقر .. لكن ماكان بوسعها أن تترك الرجال لحظهم خاصة وهم لايعرفون ماعرفته هى .. آيييى ! الخامس .. من يكون السادس ؟ هل هو ؟

لااااه !!!! تعالت الصرخة السادسة ففتحت عينيها وكادت تتنفس الصعداء ، لكن ما رأته أشعرها كأنها ماتت هى الأخرى .. كانت الأعناق المفترسة تتلوى فى السماء بينما كل فم يطبق على خصر أو صدر بحار ، وكلهم ما زال حيًا يصرخ ويتوسل أن يجيروه .. كلهم يمد يده طالبًا غوثًا لن يجىء ..

أغمضت عينيها وضربت حاجز السفينة برأسها .. ليتها ما قامت بهذه الرحلة .. ليتها عادت لعالمها .. ليست لديها أعصاب تتحمل هذا كله ..

وتنظر للوراء لترى الكهف المخيف يبتعد بسرعة السفينة ، وصوت العواء الذى صار مكتومًا ينخفض بالتدريج .. بينما (شيللا) ـ الهولة ـ ما زالت تعبث بضحاياها الأحياء عبثًا ..

ستة رجال لن يتناولوا طعام العشاء معهم لو كان هناك عشاء ..

لقد صاروا هم العشاء المبكر لكائن آخر ..

* * *

كانت تصبو إلى بعض الراحة الآن لولا أن خرج (هوميروس) من مخبئه ، وقال بلهجة النادبات :

ـ « (شيللا) قد قامت بعملها المؤسى .. سمعت ست صرخات .. ترى من أخذته ومن تركته ؟ هل أنت هنا يا (بنيلوب) ؟ »

همهمت بصوت خفيض كمن يوشك على الإغماء .. والحقيقة أن الرجال كانوا فى حال أقرب إلى الصدمة العصبية .. لكن (هوميروس) كان مازال محتفظًا بحماسه كاملًا ، وصاح فيهم :

ـ « هلموا .. لقد انتهى أوان المزاح وبدأ الخطر الحقيقى !! »

ـ « هل أنت واثق من أن كل هذا كان مزاحًا ؟ »

- « لابد من أن نذيب الشمع الآن ، لأن السيرينات ينتظرن عند جزيرتهن .. الجزيرة التى سيطلقون عليها يومًا اسم (كابرى) .. »

ثم وجه الكلام إلى (عبير) وقال :

- « لا أعتقد أن هناك خطرًا ما عليك .. أنت أنثى وتملكين حماية طبيعية ضد الأخطار التى يواجهها الرجال البلهاء .. لكن لا أرى ما يمنع من ربطك إلى الصارى بالحبال !! »

صاحت فى حنق :

- « عم تتكلم بالضبط ؟ »

قال وهو يضرب الأرض بعصاه الخشبية :

- « السيرينات هن عرائس البحر .. وهن يجلسن على الصخور ينشدن أغنيات ساحرة بأصوات لايمكن وصفها .. هذه تيمة مهمة فى أساطير أكثر الحضارات ..

كل ثقافة لديها عروس البحر الخاصة بها التى تغرق البحارة أو تدعوهم إليها لتقتلهم .. عندكم فى مصر (المزييرة) وفى ألمانيا (لورالاى) .. عندنا نحن السيرينات .. إن البحار الذى سيلحق بهاته الساحرات سيظل هناك على الشاطئ للأبد يصغى لغنائهن ، حتى يموت ويتحول إلى عظام .. »

ثم صاح فى البحارة :

- « ماذا تنتظرون يا حمقى لتأتوا بالشمع ؟ »

أشعلوا نارًا وراحوا يذوبون الشمع ، ثم يسكبون بعض السائل الذائب الحارق فى أذنى كل بحار - على طريقة صيادى اللؤلؤ الكويتيين - حتى لا يسمع الغناء الرهيب .. وكان دور (هوميروس) هو الأخير ..

فى النهاية وقفت (عبير) جوار الصارى وتعاون رجلان على تقييدها بعناية بحبال غليظة .. وقال (هوميروس) :

- « ارفقا بها .. فهى ليست كتلة عضلات مثل (أوديسيوس) .. »

لكنهما لم يسمعا على كل حال وواصلا الربط بحماس .. وخطر لـ (عبير) أن المجموعة صارت خليطًا عجيبًا : مكفوف أصم يصدر تعليماته لمجموعة من الصم ، كى يرفقوا بفتاة شبه مشلولة الآن ..

وراحت المجاديف تضرب صفحة الماء .. ومن بعيد ظهرت سواحل الجزيرة ..

« (أوديسوووس) .. يا بطل (إليوم) ..

« تعال أيها الحبيييب أصغ إلى غنائنا !

« (أوديسوووس) .. ياصاااااحب الذراع الشهم ..

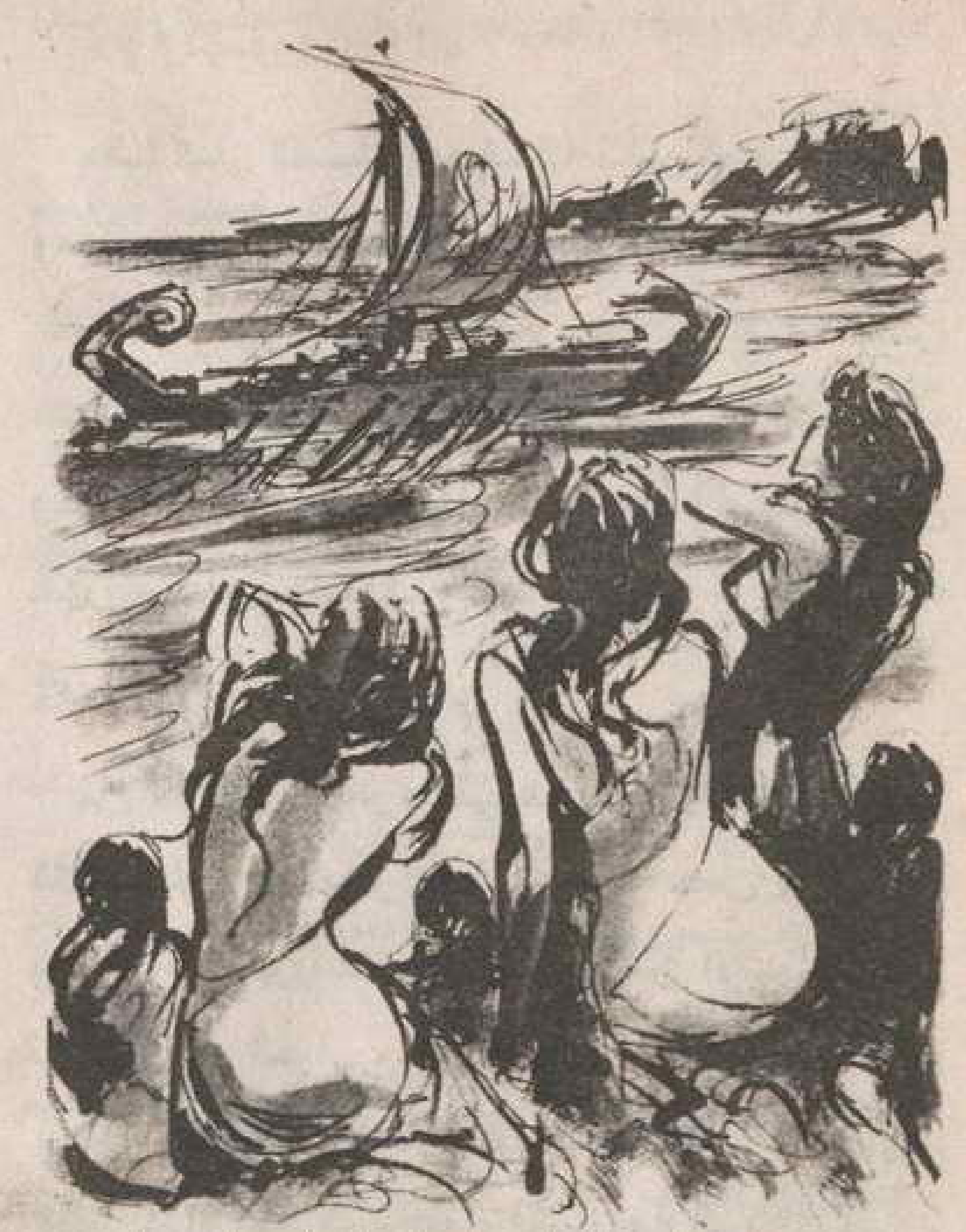
« تعال لنا .. وألق بالثقل عن كاهلك ، ولينعم رجالك بالراحة ..

« أخيراااان ..

« (أوديسوووس) ! »

حقًا كان الغناء مدوخًا له تأثير المغناطيس .. ومن بعيد كانت الفتيات ساحرات الجمال يجلسن على الصخور يمشطن شعورهن الطويلة .. لكن السفينة واصلت رحلتها بنفس السرعة المنتظمة ، وخطر لـ (عبير) أن الحمقاوات يحسبن (أوليس) على ظهر السفينة ، ولسوف يخيب أملهن لو عرفن أن هذه هى (المدام) ..

مزية أن يكون المرء أنثى هى أنه لايعبأ إطلاقًا بهذا الكلام الفارغ .. لايؤثر فيه شىء اسمه حسن (كاليسو) ولا غناء السيرينات ولا أى شىء من الأشياء التى تهلك الرجال الحمقى .. إن الغناء جميل لاشك فيه لكن (عبير) لاتفهم إطلاقًا السبب الذى يدفع الرجال إلى القفز للماء عند سماعه ، فالسباحة إلى الشاطئ ، فالموت جوعًا وعطشًا فوق الصخور بينما تواصل



ومن بعيد كانت الفتيات ساحرات الجمال يجلسن على الصخور يمشطن شعورهن الطويلة .. لكن السفينة واصلت رحلتها بنفس السرعة المنتظمة ..

عرائس البحر الإنشاد .. حقًا ما كان من داع لهذه الحبال إذن ..

أخيرًا تبتعد الصخرة ، وتبتعد السيرينات ، وتبادل الرجال البسمات ..

صاحت فيهم وقد آلمها الحبل :

- « هلموا فكوا هذه الحبال .. »

لكن أحدًا لم يسمعها بالطبع .. حتى أصابها ذعر حقيقى .. خاصة أن (هوميروس) لايراها كذلك .. أخيرًا تذكر أحد البحارة أن يزيل الشمع من أذنه ، وهكذا سمعها تصرخ .. ركض وفك وثاقها وهو يكرر الاعتذار .. وبعد قليل استعاد كل الرجال القدرة على السمع من جديد ..

وعاد الهدوء ، لكن الجوع كان يمزقهم شر ممزق ، وبدأ البعض يشكو من الطوى ، فقال لهم (هوميروس) :

ـ « صبرًا .. لقد دنونا كثيرًا من كهف (تسيرس) فى (أيايا) .. وهناك ستأكلون كما تحبون .. ستأكلون فى نهم كأنكم خنازير وثقوا أننى أعنى ما أقول ! »

وابتسم ابتسامة جانبية ساخرة لم يلحظها أحد ..

* * *

٨ ـ خنازير .. رياح ..

وصلت السفينة أخيرًا إلى جزيرة هادئة توحى بالجمال والسكينة .. وتنفس الرجال الصعداء آملين فى بعض الراحة .. قال (هوميروس) وهو يغطى وجهه بكفه كأنما يستهول ما يعرفه :

ـ « تا للّه لو علموا ما ينتظرهم لفروا من هنا فرار الظباء !! »

نظرت له (عبير) فى غيظ .. هذا الرجل يبالغ أحيانًا ويستمتع بدور العالم ببواطن الأمور حتى غدت هذه عادة .. لا تمضى دقيقة إلا ويصرخ ويرتجف من هول ما سيرون .. وإنها لترى فى هذا لونًا من الصبيانية .. قالت له بلهجة عملية :

ـ « لو كنت ترى الخطر داهمًا إلى هذا الحد دعنا لا نرسو هنا .. »

ـ « أولاً : أنت خرجت طلبًا للخطر .. ولو تفادينا كل مكان خطر لعدنا كما كنا من دون أحداث .. ثانيًا : لن يقبل الرجال هذا لأن الأرض للبحارة كالماء للظمآن .. لا يجرؤ ـ ولا يقدر ـ أحد على حرمانه منه .. »

على الشاطئ اصطاد القوم ظبيًا فقاموا بشيه .. وقضوا ليلة هادئة لا بأس بها ..

فى الصباح الباكر وقفت (عبير) تنظر إلى الجزيرة الرحبة الممتدة أمامها ، وخيل إليها أنها ترى دخانًا ينبعث من أطلال فى وسطها .. فنادت (يوريكلاوس) وسألته إن كان يرى ما ترى ، فوافقها .. قالت :

ـ « أرى أن تشكل مجموعة من الرجال يذهبون لمعرفة سر هذه النار .. »

ـ « من قال إنها نار ؟ »

ـ « لا يوجد دخان من دون نار .. أليس هذا القول معروفًا عندكم يا أحمق ؟ »

بدا متململاً غير راغب فى المخاطرة ، وخطر لـ (عبير) أن هؤلاء البحارة لا يتميزون بالطاعة ..

إنهم (لَبَطْ) لو سمحتم لى بهذا التعبير الموفق برغم سوقيته .. لو كان (أوليس) هنا فلابد أنهم سينفذون أوامره وهم يرتجفون شاعرين بالفخر لأنه كلفهم بشىء .. لكن الرجال متعصبون دومًا لا يطيقون الأوامر الصادرة من أنثى ..

فى حزم قالت شادَّة قامتها :

ـ « (يوريكلاوس) .. لو أصررت على الرفض فسوف أخبر (أوديسيوس) أنك متمرد .. هل هذا الأسلوب مقنع ؟ »

ـ « مقنع تمامًا .. »

واستدار إلى الرجال ليأمرهم ـ مع كثير من السباب اللاتينى كالعادة ـ أن يجمعوا منهم عشرين لأنهم ذاهبون الآن لاستكشاف الجزيرة .. فرغ الرجال من إفطارهم المكون من بقايا الظبى المشوى ، وحملوا أسلحتهم ولحقوا به متجهين إلى مصدر الدخان .. ووقفت (عبير) ترمقهم إذ يغيبون فى الأفق ..

* * *

عند الغروب ، كانت الجزيرة تصطبغ بذلك اللون الذى أجهد اللغويين فى وصفه ، والفنانين التأثيريين فى رسمه ، حين رأت (عبير) من يأتى من بعيد ركضًا ، وهو يلوح بذراعيه فى ذعر مجنون كمن أصابه هلع لايوصف ..

- « هذا (يوريكلاوس) .. » - واستدارت إلى (هوميروس) الجالس جوارها - « .. يبدو أن السيناريو الذى تتوقعه أنت قد حدث .. »

وكان (يوريكلاوس) قد وصل إليهم الآن فخر على ركبتيه وراح يجمع ما بين السعال والهذيان والبصاق والصراخ والعويل ولطم الخدين .. كل هذا فى مزيج عبقرى لن تصدقه ما لم تره .. فراح الرجال يقدمون له الشراب ويربتون على كتفيه ، فلو كانت أقراص (الفاليوم) موجودة فى (الأوديسة) لأعطوه بعضها .. وبعد قليل هدأ روعه قليلاً ..

دنت منه (عبير) وقد عقدت ذراعيها على صدرها ، وتأملته فى برود ثم قالت :

- « مافهمته من كل هذه الضوضاء أن مكروهًا حدث للرجال الذين كانوا معك .. »

لطم على خديه الإغريقيين الغليظين ، وصاح :

- « نعم .. بحق (زيوس) نعم !! »

ثم أردف بعينين متسعتين هولاً :

- « ليست (تسيرس) إلا ساحرة ! »

نظرت لـ (هوميروس) نظرة ذات معنى ، لكن هذا الأخير لم يرها طبعًا ، وقالت :

- « هذا استنتاج يدل على ذكاء خارق .. والآن هلا حكيت لنا ما حدث بالتفصيل ؟ »

* * *

قال (يوريكلاوس) :

كما اتفقنا ، قصدت والرجال مصدر الدخان عند تلك الأطلال ، فكان أغرب ما رأينا أن المكان هناك يعج بالسباع والذئاب والخنازير .. كلها تعيش جنبًا إلى جنب ، وكلها مسالمة ترمقنا فى دهشة شبه آدمية ..

كان قصر (تسيرس) هناك .. عرفنا هذا لأن المرأة كانت جالسة هناك .. كانت تغزل على النول وتغنى بصوت لا يقل سحرًا عن صوت السيرينات .. رحبت بنا ودعتنا إلى الداخل ، وجاءت جاريات حسناوات يقدمن لنا الطعام والشراب من لبن وعسل .. كنت متوجسًا بطبعى ثم إننى لا أحب العسل كثيرًا لهذا لم أطعم أو أشرب معهم ، وغادرت القصر لقضاء حاجة ..

واختلست النظر من النافذة فوجدت رفاقى يمسخون إلى خنازير .. خنازير صغيرة لا تكف عن الصراخ ، فنهضت الساحرة وقدمت لهم طعامًا من الكرز وقشور البلوط .. عشرون خنزيرًا فى ثوان !!

هنا كان الهلع قد استبد بى ، وعرفت سر الوحوش التى رأيناها عند مدخل القصر .. ولماذا لم تبد أية علامات للشراسة .. كانت هذه الوحوش فى الواقع تفكر وتتعامل فيما بينها كبحارة .. بحارة بؤساء قذفتهم مصائرهم إلى ضيافة هذه الساحرة ..

ورحت أجرى وقد طار قلبى شعاعًا حتى وصلت إلى هنا ..

* * *

راحت (عبير) تفكر فى عمق .. طبعًا ليس واردًا ترك هؤلاء القوم لعذابهم الأبدى ، لم يموتوا مثل من التهمتهم (شيللا) .. إنهم أحياء ويتمتعون بعقولهم ، لكنهم سجنوا فى هذه الأجساد المهينة العاجزة ..

نظرت إلى الرجال الباقين الذين وقفوا ينتظرون رد فعلها .. ثم نظرت إلى (يوريكلاوس) وأدركت أنها لن تجسر على طلب العون منه أو مرافقتها .. بالواقع هذه مشكلتها وحدها لأنها هى صاحبة فكرة الرحلة ، وعلى رأسها يقع ذنب هؤلاء .. مدت يدها إلى قراب أحد الرجال وانتزعت سيفه ، وحملته فى يدها شاعرة بثقله المهيب .. ثم قالت لـ (هوميروس) ميممة وجهها شطر القصر :

- « هل ترافقنى ؟ لا إجبار هنالك .. »

قال فى حماسة وشجاعة :

ـ « بالطبع لا .. مادام لا إجبار فى الأمر .. لن أذهب لساحرة شريرة على قدمى .. لأسباب كهذه يعيش الشعراء أطول من الأبطال ، ويكتبون قصصهم .. الأبطال يصنعون الأحداث ويموتون فيها .. بينما الشعراء يتابعون ما يحدث ويبقون أحياء ليكتبوا عنه فيما بعد .. »

دون كلمة أخرى اتجهت إلى الأفق مبتعدة عن الرجال الذين وقفوا يراقبونها صامتين ..

* * *

وعند أول دغل تخترقه كان واقفًا .. تذكرته على الفور من القصة السابقة بحذاءيه وقبعته المجنحين .. إنه (هرمز) مبعوث (الأوليمب) ، أى أنه يلعب فى الأساطير الإغريقية دور الساعى الذى ترسله الآلهة إلى البشر لإبلاغهم بأمور معينة مهمة ، وتوصيل أشياء محددة ، ثم يعود أدراجه على الفور ..

قال لها بابتسامته العابثة الخبيثة نوعًا :

ـ « إلى أين تظنين أنك ذاهبة ؟ ثمة أمور لا تكفى فيها الشجاعة .. لا بد من خطة ما ترسمينها وإلا هو الانتحار ذاته .. ولن يفيد أحد من خنزيرة تضاف إلى المجموعة التى تملكها (تسيرس) .. »

ثم أضاف وهو ينزع قبعته على سبيل الاحترام :

ـ « إن سادة (الأوليمب) يتابعون مغامرتك بشغف ، وقد راق لهم أن فتاة تجرب المرور بما كان يجب أن يمر به (أوليس) ذاته .. لهذا لم يستطيعوا تركك لحظة طيلة الوقت ، وأرسلونى إليك بهذا .. »

ومن القبعة أخرج قرصًا صغيرًا وقال وهو يمد راحته لها :

ـ « اسمه (مولى) .. نستخرجه من عشبة خاصة لها زهرة بيضاء وجذور سوداء .. ابتلعيه الآن وكلى واشربى كما تريدين عند الساحرة ، فلا خطر من سحرها .. أنصحك أن تدارى هذا السيف فلا تخرجيه إلا فى وقت متأخر .. »

ابتلعت القرص شاكرة له هذا الاهتمام ، ثم علقت السيف وراء ظهرها ، وفكت خصلات شعرها الأشقر الطويل لتنسدل حوله وتداريه .. لم تكن تتصور طول شعر (بنيلوب) إلا حين شعرت به يوشك على لمس الأرض .. حقًا كانت (بنيلوب) جميلة ، ومن الخسارة أن هذا الجمال مجرد ماكياج تضعه (عبير) للقيام بهذه القصة ..

مضت فى طريقها نحو القصر ، فقابلتها الوحوش سالفة الذكر ، وفعلت بها كما فعلت مع السابقين ..

وكانت الأخت (تسيرس) جالسة فى شرفة القصر الواسعة عاكفة على النسج بنولها ، فلما دنت (عبير) منها أكثر ، وجدت أن ملامحها هى ذات الملامح الأنثوية المعادية التى تراها منذ بدأت الملحمة ، والتى هى إسقاط لعالم الواقع .. كل النساء هنا شريرات وكلهن يحملن ملامح (رانية) ذاتها ..

ولمزيد من الحيرة رفعت (تسيرس) وجهها من على النول وابتسمت وقالت :

- « طلباتك ؟ »

هزت (عبير) رأسها محاولة طرد ذكرياتها الأليمة ، وقالت :

- « أنا حرم (أوديسيوس) » !!

- « آه المدام !! (أوديسيوس) الذى لهج الأوليمب بذكر بطولاته ؟ كنت أعرف أنه سيمر من هنا ، وانتظرت فى شغف أن يكون ضيفى يشرب شرابى ويأكل طعامى .. لكن زوجات أحبابنا هن حبيباتنا أيضًا .. تفضلى .. »

ونهضت متأودة تستبق (عبير) إلى القصر المنيف الجميل .. وفى سرها شعرت (عبير) بالرضا لأن (أوليس) لم ير هذه المرأة .. ما كان ليصمد أمام سحرها ، خاصة وأنها لم تعد تثق به على الإطلاق .. أما مع (عبير) فالأمر هين لأنها طبعًا لاترى فى هذه الساحرة أى سحر .. إنها مجرد حسناء أخرى من اللواتى يمكن العثور عليهن تحت أى حجر ..

جاءت الجوارى بالطعام والشواء واللبن والعسل ، وكانت (عبير) جائعة فملأت بطنها قدر الإمكان ، وهى تتأمل البسمة الغامضة المريبة على وجه

الساحرة .. الساحرة التى لم تكف عن ترديد لازمة (طلباتك) فى كل مناسبة برغم أن (رانية) ليست من هذا الطراز .. وبدورها ابتسمت (عبير) لأن عقار (هرمز) يؤدى عمله كما يجب ..

فى النهاية تجشأت وقالت شيئًا على غرار (سفرة دايمة) ثم مسحت فمها بمفرش المائدة ، ونظرت للساحرة فى تحد .. قالت (تسيرس) فى دهشة :

ـ « غريب .. ألا تشعرى بأى دوار أو شىء من هذا القبيل ؟ »

ـ « بسبب السحر ؟ يا ملاكى .. هذه الأشياء لاتؤثر فى ! »

كان قناع المجاملة قد انتهى الآن وصار الكلام واضحًا مكشوفًا :

ـ « لقد وضعت فى طعامك تعاويذ تكفى لتحويل أمة إلى خنازير .. »

نهضت (عبير) وفى هذه المرة كان السيف يلتمع

فى يدها ، وفى عينيها ارتسمت نظرة مريعة تنذر بالويل وصاحت :

ـ « لا وقت لدى أضيعه فى هذا السخف .. أعيدى رجالى لحالهم !! »

تناولت الساحرة كأسا من الذهب ، وأشارت لإحدى الجوارى كى تصب لها بعض الشراب فيه ، وقالت وهى تنظر لحد السيف البراق فى يد عبير :

ـ «حقًا لا خطر على امرأة إلا امرأة أخرى ! ليكن .. سأعيدهم لحالهم ، لكن ليكن مفهومًا أننى لست شريرة ولا سادية .. أنا من هواة جمع الأشياء .. كما يجمع البعض الطيور النادرة أو الحشرات ، أنا أجمع البحارة على شكل حيوانات .. »

ثم مدت يدها فى صدرها وأخرجت قنينة صغيرة ، وأشارت إلى الجوارى كى يجلبن الخنازير العشرين .. وبرفق راحت تمسح بهذا الترياق رأس كل خنزير منها .. فى الحال بدأت الحيوانات ترتد إلى أصلها ،

وراح البحارة يتحسسون أجسادهم غير مصدقين .. ابتسمت وأعادت القنينة إلى صدرها وجرعت ما بقى بكأسها ، وببرود سألت (عبير) :

ـ « هذا هو ما يحدث حين تظهر النساء فى القصة .. إنهن يفسدن المتعة كلها ، ولو كان (أوديسيوس) هنا لهام بى ولهًا .. الآن ؟ طلباتك ؟ »

قالت (عبير) وهى تتراجع للوراء :

ـ « لا شىء .. لقد حصلت على رجالى .. والآن سنرحل .. »

داعبت الساحرة خصلتين من شعرها الأسود وقالت :

ـ ليكن .. أبلغى تحياتى لـ (أوديسيوس) العظيم لو عدت له حية .. يا مدام »

نظرت لها (عبير) فى غيظ ، ثم اكتفت وأشارت للرجال أن يتبعوها ..

وكان هذا أسرع إقلاع عرفه تاريخ السفن الشراعية ..

* * *

(ليستريجونيا) التى بناها (منالاموس) العظيم .. أو جزيرة (مالطة) على الأرجح ..

كان (هوميروس) الآن فى أسوأ حال ، وراح يقضم أظفاره حتى أوشك على التهام رءوس أصابعه نفسها ، وحين سألته (عبير) عما به قال وهو يرتجف :

ـ « لقد انتهى المزاح وبدأ الهول !! »

كادت تلتهم حنجرته غيظًا .. بينما راح الرجال يتصايحون طالبين النزول إلى الجزيرة للتزود بالماء والمؤن .. فكرت فى الأمر قليلاً .. من الواضح أن كل جزيرة فى البحر المتوسط فى هذا الزمن تحوى كارثة ما .. إلى حد أن أية شركة سياحية تحاول تنظيم أية رحلات فى البحر المتوسط كانت ستفلس .. لكن من الواضح أن الرجال راغبون حقًا فى النزول هنا .. وقررت أن من الحكمة أن ينزل منهم عدد محدود بينما يبقى الآخرون هنا ـ وهى معهم ـ بانتظار الإقلاع عند أية بادرة خطر ..

ووقفت على ظهر السفينة ترمق الرجال فى ثلاثة قوارب صغيرة تدخل البوغاز الضيق الذى يقود إلى ميناء المدينة .. وكان سور هائل الحجم يحيط بها من كل الجوانب ، لهذا توارى الرجال عن عينيها بعد قليل ..

بعد ساعتين أو ثلاث ساعات عاد بعضهم فى قارب واحد ، وكانوا يجدفون بسرعة توشك أن تشبه القوارب ذات المحركات ، فلما وصلوا إلى السفينة وثبوا إلى ظهرها كالقردة ، وصاحوا فى رفاقهم أن يقطعوا الحبال حالاً ، وأن يهرعوا إلى وسط البحر كأن الشيطان يطاردهم .. حاول زملاؤهم فهم ما يحدث لكن أحدهم صرخ :

- « لا تسأل .. فقط أسرع !! »

- « ألن ننتظر الآخرين ؟ »

- « لم يعد هناك آخرون ! لقد صاروا تاريخًا !! »

وتذكرت (عبير) العبارة المماثلة التى يقولها الإنجليز عن فلان : (لقد صار تاريخًا) كناية عن الهلاك .. لقد هلك الآخرون ولكن كيف ؟ هذه هى

مزية أن تبقى السفينة متأهبة للرحيل فى أية لحظة ، لأنهم استطاعوا الإقلاع بسرعة الصوت ..

وبعد قليل أمكنها أن تفهم من البحارة قصتهم :

- « لقد قابلنا عند مدخل المدينة ابنة الملك (أنتيفاتاس) التى أخذتنا إلى قصر أبيها .. لقد اقتادتنا إلى أبيها وأمها ، ولم يكن منظر هذين مما يسر الناظرين .. وهؤلاء القوم غير طبيعيين ، حجمهم شبيه بالجبال .. لقد أمسك الملك بواحد منا من قدميه وهشم رأسه على الحائط ، ثم بدأ يفسخ لحمه أمام عيوننا التى لا تصدق ..

« خرجنا من القصر جريًا نحو الميناء لا نلوى على شىء ، وهنا عرفنا أن المدينة كلها خرجت فى إثرنا .. وحجم كل واحد فيهم لا يقل عن حجم ثور .. ركبنا قواربنا وحاولنا الخروج من الميناء ، فراح هؤلاء القوم يرمون علينا الجلاميد .. تهشم قاربان من قواربنا وتناثرت جثث الرجال ، لكن هؤلاء المفترسين كانوا يغرسون الحراب فى الجثث ويحملونها إلى الشاطئ لينعموا بالتهامها .. وبصعوبة بقى قارب واحد استطاع الخروج من البوغاز ..

« إن لهؤلاء القوم طريقة فريدة فى الترحيب بالضيوف ! »

أصغت (عبير) إلى هذه القصة وهى ترتجف ، ولعنت الساعة التى فكرت فيها فى النزول إلى هذه الجزيرة .. نظرت إلى (هوميروس) العجوز الذى كانت شفتاه تتحركان باستمرار فأدركت أنه يقرض الشعر الآن ، واصفًا هذه المذبحة بكلماته ..

قالت له فى غيظ :

- « كان بوسعك أن تنذرنا بكلمات واضحة بدلاً من كلامك الغامض الشعرى هذا ! »

الشعراء لايضعون القواعد .. إنهم يكتفون بالتلميح .. إن القواعد مهمة الأديان والقوانين وكتب العلوم لكنها ليست مهمة الشعر .. »

تمنت أن تنتهى الرحلة قبل أن تقتل هذا الرجل ، ويومها ستدخل التاريخ باعتبارها المرأة التى فتكت بـ (هوميروس) ، ومنعته من تأليف ملحمتيه الشهيرتين .. لسوف يشكرها كل دارسى الأدب اليونانى واللاتينى وقتها !!

ومن جديد تواصل السفينة التى يتناقص عدد بحارتها بشكل ملحوظ ، رحلتها نحو .... نحو .... لا يوجد هدف محدد هنا إلا المزيد من المجد ، والمزيد من الشعر على لسان (هوميروس) ..

بعد أيام ظهرت جزيْرة (الأيوليين) فى الأفق ، وهى ما نسميه اليوم (سترومبولى) ..

سألت (عبير) شاعرها الكفيف وهى ترى أسوار المدينة النحاسية بين الأمواج :

- « هل توجد هنا وحوش أو أكلة بشر أو ساحرات ؟ »

- « لا .. إنها فرصة مناسبة للاسترخاء .. لكن هناك خطرًا لا بأس به ، ولن أخبرك به حتى لا أفسد متعة المغامرة .. »

* * *

كان الملك من النوع لطيف المعشر الذى لا يلتهم ضيوفه أو يسحرهم .. كان أبًا سعيدًا مخلصًا لست فتيات وستة فتيان ، وقد دعا القادمين إلى مأدبة

كبيرة وحفل جميل بعدها .. ولم يترك سبيلاً للترفيه عن ضيوفه إلا واتخذه ..

وقد قضوا عنده بضعة أيام يصغى فيها لقصة (عبير) المسلية عن رحلتها ، وكان ككل ملوك الأساطير يعشق القصص ويكرم أصحابها أيما إكرام .. لهذا لم ينس أن يقدم لها قبل الرحيل قربة كبيرة من الجلد المدبوغ هدية ..

ماذا فى تلك القربة ؟

يا له من سؤال غريب .. ظننت هذا واضحًا ..

إنها الرياح المعاكسة للبحارة فى العالم كله ، وقد حبسها (زيوس) فى هذه القربة .. من الآن لن تضايقهم أية ريح ولا عواصف لأنهم يحملون معهم الشىء الحقيقى حبيسًا !

* * *

٩ ـ أرض السيكلوب ..

نامت (عبير) لكن البحارة لم يناموا ..

كانوا يتآمرون طيلة الليل ، والسبب طبعًا تلك القربة التى تلقتها هدية من ملك الجزيرة .. هذا الموقف مماثل لموقف سابق حين أرادت (بندورا) فتح الصندوق الذى تلقاه (برومثيوس) هدية .. وكان الصندوق يحوى كل الألم الموجود فى الكون !! أما القربة الحالية التى خطر للبحارة الحمقى أنها مليئة بالكنوز والذهب ، فلم تك تحوى إلا الرياح .. الرياح ولاشىء غير الرياح ..

كل أنواع الرياح : رياح غربية .. رياح شرقية .. رياح عاصفة .. أعاصير .. دوامات .. نوات ..

فما إن فك الحمقى الحبل الذى يربطها بينما (عبير) نائمة ، حتى سمعوا صوتًا لابد أن من سقطت عليهم القنبلة النووية سمعوه .. وطاروا ليصطدموا بحواجز السفينة بينما إعصار رهيب يخرج من القربة ، ويتلوى



وطاروا ليصطدموا بحواجز السفينة بينما إعصار رهيب يخرج من القربة ..

على نيله الشرير بحثًا عن ضحايا .. وتمزقت الأشرعة وتبعثرت الحبال فى كل صوب ..

ونهضت (عبير) من النوم على هذه الضوضاء غير المعتاده .. راحت تفرك عينيها غير مصدقة ، وبصعوبة تمكنت مع رجلين آخرين من القبض على كاحل (هوميروس) قبل أن يطير إلى العباب ، وقامت بربطه إلى حبل غليظ ..

ـ « ماذا فعلتم يا حمقى ؟!! »

كذا صاحت لكن أحدًا لم يسمعها بالطبع ، لأن كل واحد كان يعيش صممه الخاص ..

وطار ثلاثة أو أربعة رجال جوار رأسها ، وطار واحد عن يمينها ليرتطم بالموج .. إنهم يستحقون هذا كله ، لكنها لاترغب فى أن يحدث لها مايحدث لهم ، ويبدو أن العواصف لاتفرق كثيرًا بين من أطلقوا سراحها ومن لم يفعلوا ..

الخلاصة أنها كانت ليلة سوداء ..

وبشكل ما لايمكن تفسيره بقواعد الفيزياء ، ظلت السفينة متماسكة حتى الصباح .. صحيح أن عدد الرجال انخفض أكثر لكنهم ظلوا أكثر عددًا ممن ماتوا ..

وفى النهاية هدأ البحر كأنما سئم هذه اللعبة ، وارتمى كل بحار حيث هو يلهث بلا انقطاع ويبصق الماء الذى ابتلعه كالحيتان ..

نهضت (عبير) وبصقت بدورها ، وراحت تضرب على بطن (هوميروس) وصدره لتخرج كل ما ابتلعه من ماء .. مشكلة شعراء اللاتينية هؤلاء هى أنهم يموتون بسرعة .. لكنه لم يمت .. من العسير أن يموت (هوميروس) وهو فى قلب ملحمة .. رفعت عقيرتها صائحة :

ـ « تبًا لكم ولجشعكم الذى أوردنا المهالك .. تارة تذبحون خراف (أبوللو) وتارة تفتحون صندوق العواصف !! أنتم أسوأ طاقم بحارة فى (هيلاس) كلها ، ومن مصلحة من فتحوا الصندوق أن يكونوا فى قاع اليم الآن ، لأن هذا أوفق وضع لهم .. والآن أيها

التنابلة انهضوا وليمارس كلٌ ما كان يمارسه قبل العاصفة .. »

قال (هوميروس) وهو يرتجف :

ـ « إن الجزء القادم هو أخطر أجزاء الملحمة .. »

صاحت فى نفاد صبر :

ـ « نعم .. نعم .. وكل ما مضى كان مزاحًا .. والآن هلم أتحفنى بالمصيبة القادمة .. »

ـ « يبدو أننا دانون من (كوما) .. »

ـ « هذا رهيب .. إننى لأرتجف فرقا .. لكننا سنحاول الآن أن نتجنب (كوما) هذه فلاتتعب نفسك بالشرح .. »

هنا تصايح البحارة أن الدفة مكسورة والشراع مثقوب وهناك جزء مهشم فى الميمنة ، دعك بالطبع من الثقب فى القاع الذى يتسرب منه الماء بحماس مريب ،والذى فشل عشرة منهم فى نزحه .. يبدو أن عليهم الرسو عند أقرب جزيرة لإصلاح السفينة ما لم يريدوا أن ينتهوا فى قاع البحر المتوسط فريسة للأسماك السعيدة ..

- « وما هى أقرب أرض إلى هنا ؟ »

قال لها (هوميروس) وهو يبتعد :

- « ياله من سؤال .. (كوما) طبعًا !! »

* * *

على الشاطئ نام الجميع حتى الصباح التالى وقد هدهم التعب ، وقدروا أن عليهم البدء فى الإصلاحات مع أول ضوء من النهار .. الحقيقة أنهم دنوا كثيرًا جدًا من (طروادة) وعند أسوارها تنتهى رحلتهم ..

عندما كشفت الشمس عن وجهها الصبوح ، مضى الرجال يرتادون الجزيرة ، وكان (هوميروس) الآن قد كف عن الكلام نهائيًا وراح يصلى بصوت مسموع .. لكنه لم يعط أية تفسيرات ..

كانت هناك قطعان كبيرة من الماعز ، ففرح الرجال وراحوا يركضون وراءها ويصطادون ما استطاعوا صيده .. لكنهم لم يتساءلوا قط عن صاحب هذه القطعان ولا من يفيد منها هنا ..

وعند الطرف الآخر من الجزيرة ، وجدوا كهفًا منحوتًا فى الصخر .. تبادلوا النظرات ثم نظروا إلى (عبير) (بنيلوب) التى لم يكن لها رأى مخالف هذه المرة ، فهى تريد أن تعرف ..

دخلوا من مدخل الكهف ، فوجدوا أنه يقود إلى ساحة واسعة أقرب إلى حظيرة فى الجبل ، امتلأت بالخراف والماعز وقد أحيطت بسور من الأشجار ، والأوتاد المغروسة كما يغرس المزارع الحدود حول مزرعته .. كانت عبير تعرف هذا الموقف جيدًا وتتوقع ما سيحدث .. هذا هو بيت الغول لاشك فى هذا .. إن الأدب العالمى يزخر بأمثال هذا الموقف .. بيت الكعك الذى بنته الساحرة .. أطباق حلوى الدببة الثلاثة .. عشاء الذئب .. وفى اللحظة المناسبة يعود الوحش إلى الكوخ ، ويجد المتسلل الشره نفسه فى أسوأ موقف ممكن ..

كانت هناك تجهيزات توحى بأن المكان يستخدم كمصنع صغير لمنتجات الألبان .. هنا يخض صاحب

الكوخ اللبن ويصنع الزبد والجبن .. هذا كوخ مزارع مسالم إذن .. مزارع يصنع الخير بيديه ولا ينزع الأرواح بهما ..

قال البحارة الشرهون كالعادة :

ـ « لماذا لا نسرق بعض منتجات الألبان هذه ؟ نحن لم نذق الجبن منذ بدأت الرحلة .. »

قالت (عبير) فى نفاد صبر :

ـ « لا هم لكم إلا حديث البطون .. إننى أشعر بالخطر .. ولابد أن ... »

وهنا دوى الرعد ، وارتجف الجميع ، لأن شيئًا مهولاً دخل من فتحة الكوخ .. شيئًا له حجم الجبل ورهبته وصوت انهياره .. ولم يدرك الرجال متى تواروا مذعورين فى كل فجوة من الكهف تسمح بمداراتهم .. لقد عاد الغول كما توقعت (عبير) تمامًا ، وكان له خوار كخوار ثور هائج .. وكان يحمل من الحطب ما يكفى لملء غابة بالأشجار ..

ومالت (عبير) على (هوميروس) الذى دسته كالشىء دسا فى فتحة بالحائط ، وهمست :

ـ « هل لديك فكرة عن هذا ؟ »

قال همسًا وهو يرتجف كالعادة :

ـ « هذه أرض المردة السيكلوب .. وكل منهم يملك عينا واحدة فى رأسه .. إنهم طغاة عتاة لا يأتمرون بشريعة ولاقانون .. يعيشون فوضى ولاتربطهم رابطة ، ولايقوم بينهم نظام . يأوون إلى كهوف موحشة وغيران سحيقة فى قلل الجبال وأحيادها . يعنى كل منهم بنفسه وزوجه وقطعانه ولا يأبه للباقين .. »(*)

لم تكن قد سمعت عن السيكلوب من قبل ، وإن كان كل من درس علم الأحياء يعرف هذا المصطلح للدلالة على أى كائن ذى عين واحدة .. وبدا لها الوضع مثيرًا للقلق إنْ لم يكن يائسًا ..

(*) طبعًا هذا هو الأسلوب الجزل المميز لترجمة (درينى خشبة) للملحمة الأصلية ..

كان السيكلوب الآن يسد مدخل الكهف بجلمود عملاق يصلح جبلاً صغيرًا .. ولا أفهم حقًا لماذا يصبو هذا الوحش إلى الإحساس بالأمان .. ربما يخشى أقرانه ممن يماثلونه حجمًا .. لقد جلس يحلب أغنامه فى دن كبير ثقيل ، فلما امتلأ إلى المنتصف كرع منه كمية لا بأس بها وتجشأ .. ثم أشعل النار وجلس أمامها يصطلى ..

كانت هذه هى اللحظة المناسبة كى يعطس (هوميروس) .. هؤلاء الشعراء اللاتينيون يعطسون دائما فى أوقات غريبة .. لكن الرجل كان مصابًا بحساسية صدر مزمنة ولم يكن يتحمل الدخان ..

نهض السيكلوب وأجال البصر حوله بعينه الواحدة التى تتوسط جبهته ، وراحت أنيابه الحادة تضرب بعضها فى غضب .. وسرعان ما تبين الفئران الآدمية المتوارية فى الشقوق ، فمد يده يخرجها حتى صار عنده عدد لا بأس به من القوم الراجفين الخائفين ..

كان (يوريكلاوس) أول من تكلم ، فقال فى تهذيب وكياسة برغم اصطكاك أسنانه :

- « نحن بحارة إغريق يا سيد سيكلوب .. نحن رجال (أوديسيوس) العظيم الذى هزم (طروادة) .. (أوديسيوس) بن (ليرتس) ملك (إيثاكا) .. المعروف فى السماوات بالدهاء والمكر ، وملك (نريوس) ذى الشعاف الس... »

ويبدو أن الوحش كان يعرف (أوديسيوس) لأنه لم يقل شيئًا .. فقط تناول رجلين من الرجال بيد واحدة وممسكًا بقدميهما ضرب رأسيهما فى جدار الكهف فتناثر المخ فى كل صوب .. ثم حمل الجثتين فوضعهما على الجمر ، وراح يتسلى باللعب فى أصابع قدميه إلى أن نضجا وفاحت رائحة الشواء .. أخرجهما وراح يتلمظ وهو ينتظر حتى تبردا ، ثم أنشب أنيابه فى اللحم وابتلعهما فى استمتاع .. ولم ينس أن يشرب اللبن من حين لآخر على سبيل (التبليع) ..

كان وقع هذا على الرجال و(عبير) لا يصدق .. لقد ظلوا يرمقون ما حدث فى بلاهة ، وكأنهم لم يدركوا بعد أنه حدث .. وحين نام الوحش على ظهره ،

وتعالى صوت شخيره الرهيب فى الكهف .. فقط عندها فطنوا إلى المأزق المخيف الذى وقعوا فيه ..

إن باب الكهف مغلق بالحجر فلا أمل فى انتهاز الفرصة .. لامفر سوى قضاء أسود ليلة فى التاريخ .. والمؤلم هنا أنهم يعرفون أن الوحش سيصحو جائعًا يحتاج إلى الإفطار ..

وسأل (هوميروس) (عبير) همسًا :

ـ « ماذا حدث ؟ هل نجونا ؟ »

قالت فى سخرية وهى تحيط عنق الشيخ بذراعها كى ينام :

ـ « نعم .. نعم .. لقد نجح الرجال فى قتل السيكلوب وهم الآن يشوونه لعشائنا ! »

ـ « هذا مريع ! لابد أن طعمه مثير للاشمئزاز ! »

* * *

فى الصباح الباكر نهض السيكلوب نشيطًا وهو

يدندن بلحن ما .. فحلب الماعز كعادته ، ثم اتجه فى ملل إلى البحارة ، كما يتجه المرء منا إلى الثلاجة ليأخذ بيضتين للإفطار .. فالتقط اثنين منهما هشم رأسيهما على الصخر وقام بشيهما ، ثم التهمهما وجرع اللبن ، وزحزح الصخرة التى على باب الكهف .. ثم استاق بعض الماشية إلى المرعى ولم ينس أن يعيد غلق الكهف وراءه ليسود الظلام من جديد ..

كانت (عبير) الآن تشعر بالغثيان من رائحة الشواء الآدمى ، وقال لها (هوميروس) الذى صحا من النوم :

ـ « ألم ينضج بعد ؟ إننى أموت جوعًا !! »

ابتسمت فى شفقة ثم استدارت إلى رجالها وصاحت بصوتها المبحوح :

ـ « إنه يأكل اثنين فى الوجبة ! بهذا المعدل لن نلبث هنا أسبوعين .. وإننى لأرى أن نحاول عمل شىء .. »

قال أحد البحارة فى سخط :

ـ « جميل .. لكن ما هو ذلك الشىء ؟ »

كان هناك جذع شجرة فى أحد أركان الكهف .. وكانت (عبير) تذكر شيئًا كهذا .. بل إنها تذكر صورة مرسومة فى إحدى المجلات ، تمثل خمسة رجال يحملون وتدًا مدببًا ويثقبون به عينًا وحيدة لوحش نائم .. أمرت القوم أن يتعاونوا معها ، ويبدءوا بمديهم ينحتون الجذع على شكل وتد مدبب ..

كان مجهودًا شاقًا احتاج إلى النهار كله ، وحين فرغوا أخيرًا وتواروا فى شقوق الكهف كان السيكلوب قد عاد .. وها هو ذا يزحزح الحجر ، ثم يدخل مع قطعانه .. لكن (عبير) كانت الآن قد تذكرت القصة كاملة وتذكرت ما فعله (أوليس) العظيم ..

كان أول ما قام به السيكلوب طبعًا هو أن وضع العشاء على النار .. هذان إذن بحاران لن يشاركا فى العملية القادمة ، وخطر لـ (عبير) أن هذا الوحش منظم جدًا وميال للاعتدال ، فلو كان من الوحوش إياها لالتهم أكثر من رجلين فى المرة .. لكنه يعرف بالضبط مقدار ما يحتاج إليه ليشبع .. وهذا جعلها قادرة على الدنو منه فى كثير من وجل ..

بعدما فرغ من وجبته ، دنت منه حاملة دنًا من الشراب .. دارت عينه الوحيدة فى محجرها لتنظر إليها ، فرفعت الدن وقالت بصوت جهير كله رهبة :

- « هذا شىء يروى ظمأك بعد وجبة اللحم هذه .. ما اسمك أيها الوحش الجميل ؟ »

كان أحمق ككل الوحوش فتناول الدن منها وجرع منه فى نهم .. ثم قال وهو يطوح به بعدما فرغ :

- « أنا السيكلوب (بوليفيمو) .. وأنت ما اسمك أيتها الحسناء ؟ »

كان صوته غليظًا سميكًا حلقيًا رغويًا ككل الوحوش ذوات العين الواحدة .. تجاهلت (عبير) خوفها وقالت :

- « أنا .. أنا (لا أحد) .. »

- « لا بأس يا (لا أحد) .. سأمنحك مجاملة رقيقة هى أن أتركك حية للنهاية !! خخخخ !! »

وسرعان ما كان يغط فى نوم عميق .. نوم جدير بالوحوش ذوات العين الواحدة ..

استدارت (عبير) إلى الرجال ، وكانوا ما زالوا يتوارون فى الشقوق مقلدين الأرانب الصغيرة .. فصاحت فيهم مغضبة :

ـ « ليس هذا أوان التخاذل .. إما الآن أو فلا .. إلى الأبد .. ليذكر كل منكم أنه قد يكون فى قائمة الإفطار صباح غد .. »

نهض خمسة رجال مترددين ، وحملوا الجذع الثقيل وكما اتفقوا من قبل قربوا طرفه المدبب من النار حتى أحمر .. صار كالجمرة .. وببطء وهدوء اتجهوا إلى عين السيكلوب النائم ينتظرون إشارة (عبير) .. رفعت ذراعها ثم خفضتها ، وفى الحال غرس القوم طرف وتدهم فى العين .. ودوى صوت الجذع المشتعل وهو يخترق سوائل العين .. طششششش !!

طبعًا انفتحت أبواب الجحيم .. طبعًا انفجر الدم فى كل صوب .. طبعًا نهض الوحش يعوى ويزأر حتى ليوشك الكهف على الانهيار .. طبعًا راح يركل الأرض ويضرب الجدار ، ولكنه لم يمس أحدًا من الرجال الذين تواروا خائفين ..



طبعا نهض الوحش يعوى ويزأر حتى ليوشك الكهف على الانهيار ..

ومن خارج الكهف جاء صوت رفاقه من السيكلوب يسألون :

ـ «ماذا دهاك يا أبله ؟ لماذا تصرخ هذا الصراخ ؟»

صاح وهو يتلوى من الألم :

ـ « (لا أحد) يقتلنى ! (لا أحد) فقأ عينى ! (لا أحد) خدعنى ! »

ـ « يا لك من أحمق !! »

وعادوا إلى كهوفهم على حين قضى هو الليل كله يزأر ويعوى ويتوعد ويتألم .. وبرغم أن التشفى واللذة السادية عبثت بعقول الجميع ، إلا أنهم لم يجسروا على الدنو منه أو الكلام .. على كل حال يمكن القول إن السيكلوب الذى فقد عينًا ، فى هذا المجتمع غير المتماسك ، هو سيكلوب مقضى عليه بالفناء ..

وفى الصباح فتح (بوليفمو) الكهف .. تحسس حتى وجد الحجر فأزاحه ثم جلس عليه ، وراح يردد :

ـ « إلى أيها الجبان (لا أحد) .. تعال وحاول أن تمر من هنا لأذيقك الويل .. »

كان نور النهار أكثر إغراءً من أن يقاوم ، وقد نجح الرجال و(عبير) فى التسلل من جوار الوحش الغبى الجالس ..

وراحوا يركضون مذعورين نحو سفينتهم ..

لقد صار الانتظار حتى يصلحوها ترفًا لا تحتمله الأحداث الجديدة .. ومن جديد كان هذا أسرع إقلاع عرفه تاريخ الملاحة الشراعية حتى هذا الحين ..

* * *

١٠ ـ البردى وما إلى ذلك ..

استغرق إصلاح السفينة يومين فى جزيرة صغيرة هادئة، خالية لحسن الحظ من كل سكان البحر المتوسط غريبى الأطوار إياهم ..

ووقفت (عبير) جوار (هوميروس) على الشاطئ ترمق العمل يجرى على قدم وساق فى إصلاح السفينة .. السفينة التى صارت أقرب إلى حذاء (أبو القاسم الطنبورى) بكل ما فيها من ثقوب وعاهات ..

قال لها وهو يضرب الأرض بعصاه :

ـ « جميل .. جميل .. ما كنت لأتمنى ملحمة أفضل مع زوجك نفسه .. إن (البنيلوبية) تكتمل بالتدريج، ولسوف أضفى عليها طابعًا شعريًا نادرًا .. فقط لو تمنحنا كل هذه الغيلان لحظة نلتقط فيها أنفاسنا .. »

ثم أردف بعد تردد :

ـ « لكنى لم أحب طريقتكم فى القضاء على هذا المسخ .. إننى لا احب أن أرى كائنا حيًا يفقد عينيه .. أنا ولدت كفيفًا لهذا لا أتصور كيف يبدو النور، وأعرف مدى قسوة الأمر بالنسبة لشخص عرف النور يومًا .. »

قالت فى نفاد صبر :

ـ « لم يكن له من نقطة ضعف إلا عينه .. ولو لم نفعل لكنت أنت وجبة عشائه .. هل تذكر كعب (أخيل)، وكيف لم يجد (باريس) حلا إلا تصويب السهم إليه ؟ »

ـ « كيف لا أذكر ؟ أنا كتبت عن ذلك قصيدة من أجمل قصائدى .. »

وكان الرجال الآن على وشك الانتهاء من ترميم السفينة واستئناف رحلتهم ..

* * *

(نبيتون) غاضب كالعادة .. ومنذ متى لم يكن (نبيتون) غاضبًا ؟

يبدو لمن يقرأ (الأوديسة) أن ثأرًا دمويًا كان ينغص حياة (نبيتون) ويجعله راغبًا فى تدمير (أوليس) تدميرًا لامناص منه .. ويبدو كذلك أن (أوليس) كان قادرًا على تحدى سيد المحيطات دائمًا ..

لقد ثارت العواصف وهاجت الأمواج ، ومن جديد راحت الجبال تعلو وتهبط ، حتى إن (عبير) شعرت بأنها فى الملاهى .. وراح (هوميروس) الذى سجنوه فى قاع السفينة لحمايته ، يطير من جدار خشبى لآخر خاصة مع وزنه الخفيف .. لكنه لم يكف عن إنشاد الشعر ، ويبدو أن العاصفة كانت تلهمه بحق ..

أما على السطح فقد راحت (عبير) تصدر أوامرها فى ثقة كذئب البحر الشيوخ ، وقد راق لها ما اكتسبه صوتها وما اتخذته أوامرها من قوة .. إن شخصيتها تنمو بسرعة وتتبلور وتتضخم ، حتى إنها لم تعد تفهم لماذا كانت ترتجف هلعًا من هؤلاء البحارة فى بداية الرحلة .. يبدو أن الأهوال التى رأتها كانت كورق الصنفرة .. فى كل مرة تجلو شخصيتها أكثر

وتكسبها بريقًا وأناقة .. والآن هى تشعر بأنها خلقت لقيادة الرجال .. تشعر بأن هذه الأهوال مناسبة لها أكثر من كل ما كانت تغزله فى قصر (أوليس) جوار المرضعة العجوز (يوريكليا) ..

لم يدر أحد إن كان الليل قد جاء أم لا .. لأن الشمس توارت منذ بدأت العاصفة ..

كان السواد هو لون الأفق ، وكان البرق هو اسم اللعبة ..

لكن حينما هدأ (نبيتون) وذهب لينام بعد ليلته المرهقة ، كانت السفينة قد جنحت أمام شواطئ لم يعرفوا ما هى ..

وكان النهار يعلن عن نفسه مما أخبرهم أن ما مضى كان ليلاً حقيقيًا لا صناعيًا ..

من جديد نزلوا إلى القوارب قاصدين الشاطئ ، وكانوا يعرفون أن كل مرسى هو الجحيم ذاته .. هكذا عودهم البحر المتوسط .. لكن ما من سبيل للإبحار

ثانية بهذه السفينة .. إنها تحتاج الآن إلى ما هو أكثر من الترميم .. تحتاج إلى سفينة جديدة على أقل تقدير ..

قال (هوميروس) لـ (عبير) وهو يضع يده المعروقة فى الماء :

ـ « هذه (لوتوفاجى) .. ما ستطلقون عليه (ليبيا) يومًا ما .. »

قالت وهى تجدف مع الرجال :

ـ « ماشاء الله .. أنت ترى كل شىء بلا عينين .. »

ـ « أنا شاعر .. والشاعر لايحتاج إلى عينين كى يرى .. »

وترجل الرجال ومشوا فوق الرمال متوغلين فى هذه الأرض .. قالت لهم (عبير) بلهجتها الآمرة :

ـ « لا تتفرقوا هذه المرة .. فنحن لانعرف ماتداريه لنا هذه الأرض .. »

سمعت بعض الرجال يطلقون سبة .. وقال أحدهم شيئًا ما عن (المرأة التى لاتجيد إلا إصدار الأوامر) ، فتصاعد الدم إلى رأسها .. يمكنها التظاهر بأنها لم تسمع ، لكنها غير راغبة اليوم فى تحاشى القتال .. إن كل ذرة فيها متحفزة للمواجهة والعقاب .. ولو كان الأدرينالين يباع بالجرام فلابد أنها ستكون أغنى نساء الأرض ..

قالت لهم مامعناه : لا أسمح بقلة الأدب والبرطمة .. من كان يريد قول شىء فليقله بصوت عال ..

صاح أحد الرجال بلهجة من أوشك على الانفجار :

ـ « لقد واجهنا الأخطار معك ومات منا الكثيرون .. لكننا لم نظفر بشىء ، ولنعودن لوطننا ـ لو عدنا ـ أكثر فقرًا مما غادرناه .. إننا لم نأت من أجل مجدك ، بل لأجل مايمكن ان تقدميه لنا من غزوات وغنائم .. »

فطنت للحقيقة للمرة الأولى .. حقًا هى لم تفكر لحظة فى أن هؤلاء الرجال يستحقون بعض الأجر عن كل ما رأوه .. لكن كيف ؟ هى لا تنوى أن تغزو بلدًا ما ..

لا تريد دماء ولا صراخًا ولا سبايًا .. كل ما تريده هو أن تعرف ..

قالوا عن (أوليس) إنه خاض مغامراته كى يعرف أكثر .. والحقيقة أن هذا غير صحيح .. (أوليس) كان مرغمًا على مواجهة ما واجه ، وكان هدفه الوحيد هو العودة إلى أسرته الحبيبة .. وربما لهذا صدق الناس (الأوديسة) وأحبوها ، وصدقه رجاله وأحبوه .. لأن (أوليس) كان بطلاً برغم أنفه .. رجلاً عاديًا أرغمته الظروف على البطولة .. وبرغم هذا لم يترك فرصة للسلب والغنم إلا وانتهزها كى يضمن ولاء رجاله وحماسهم ..

إن موقفها أعقد منه بكثير إذن لأنها تخوض المغامرة من أجل المغامرة .. كما يكتبون الأدب للأدب ، ويعيشون الحياة للحياة .. كيف تقنع الرجال بهذا كله ؟

فى اللحظة التالية قطع أفكارها ظهور سكان البلاد ..

كان (اللوتوفاجى) ودودين جدًا يضحكون للقادمين ، ويهشون لهم ويبشون .. وتوقعت أن يبدعوا فى التهامهم

عند أول بادرة ، لكن لم يبد أن هؤلاء القوم يظهرون عكس ما يبطنون ..

أخذوهم إلى قصر منيف خاص بالملك ، وأجلسوهم إلى مائدة عامرة ، وقدموا لهم الكثير من اللبن والعسل .. لاحظت (عبير) أن الطعام كله نباتى .. كله من الثمار دون أثر للبروتين الحيوانى من أى نوع .. ثم ظهرت زهور اللوتس .. عرفتها (عبير) على الفور لأنه ما من مصرى لم يرها فى نقوش الفراعنة ، باعتبارها رمزًا بصريًا فرعونيًا مهمًا كالكوبرا والصقر .. خطر لها أن هناك خطأ ما لأن اللوتس ـ على قدر علمها ـ لا ينمو فى ليبيا .. لكنها تناست الأمر وراحت تراقب المائدة وهى تزدحم بالزهور الجميلة ..

هنا وجدت أن الأهالى يقدمون الزهور للضيوف ويطلبون منهم التهامها .. أبدى هؤلاء بعض الدهشة ثم جربوا تذوقها ، وبدا أنها شهية بحق لأنهم راحوا يطلبون المزيد فالمزيد .

كان (يوريكلاوس) بجوارها وقد حشا فمه بهذه الزهور وسال لعابه ، فسألته :

- « كم من الوقت تحتاج إليه حتى ترمموا السفينة ؟ »

نظر لها فى غباء ، وغمغم بفم ملىء :

- « أية سفينة ؟ »

- « سفينتنا يا أحمق .. »

- « سفينتنا ؟ ومن نحن »

لم تفهم .. فجأة صار غبيًا كحمير الجر .. إنها لم تحب (يوريكلاوس) قط بغبائه وعينيه الضيقتين ، لذا مالت إلى الفتى عن يسارها وسألته :

- « (باليودوس) .. ماذا عن السفينة ؟ »

نظر لها بغباء بدوره ، وسألها وهو يلوك المزيد من زهور اللوتس :

- « (باليودوس) ؟ من هو ؟ »

- « إنه أنت يا أبله .. ماذا دهاكم جميعًا ؟ »

هل وصل مرض (آلزايمر) إلى الأساطير اليونانية ، أم ماذا حدث بالضبط ؟ ثم فطنت إلى الحقيقة المريعة ..

لقد فقدوا ذاكرتهم بالفعل ، ولكن بسبب ما يأكلون .. زهور اللوتس هذه تمسح الذاكرة كما يمسح الضوء الصورة من الفيلم الذى لم يحمض بعد .. إنه نبات مخدر مثله مثل القنب والقات ، لكن من الواضح أنه أعتى أثرًا .. نظرت إلى الرجال حولها فى ذعر وصاحت :

- « من منكم لم يأكل اللوتس بعد ؟ »

رفع أكثرهم يده .. لحسن الحظ لم يأكلوا جميعًا وإلا لوجدت نفسها فى مأزق .. صاحت وهى تنهض عن المائدة :

- « إياكم أن تمسوه ! يجب أن نعيد هؤلاء التعساء إلى السفينة معنا .. »

لم يتدخل (اللوتوفاجى) لدهشتها وهم يرون الرجال ينهضون فيعينون من أكلوا اللوتس منهم على النهوض .. لكن الغريب أن الآكلين كانوا يقاومون بشراسة ويصرخون كأنما يذبحون :

- « دعونا ! نحن نريد البقاء هنا ! من أنتم ؟؟ هذا بلدنا .. من نحن ؟ »

لكن الرجال تعاونوا على حمل الجميع إلى السفينة .. وللمرة الثانية تضطر السفينة إلى الرحيل بحالة لاتسمح به .. إنها لاتلوم هؤلاء الرجال كثيرًا فقد أوصلهم النبات إلى حالة من السلام جعلهم يشعرون كأنما ولدوا من جديد .. والبلاد جميلة تصلح بداية ساحرة لإنسان بلا ماض ..

-« دعونا ! من أنتم ؟؟ نحن نريد البقاء هنا ! هذا بلدنا !! »

كان (هوميروس) يقف جوارها على حاجز السفينة بينما سواحل (اللوتوفاجى) تبتعد عنهم .. فصارحته بأفكارها ، وقالت متأملة :

- « قد يكون نسيان بعض الأمور نعمة .. لكن النسيان التام نقمة لاشك فيها .. حين تفقد ذكرياتك وكل ما يجعلك أنت .. تنسى اسمك وعمرك وأباك وأمك ووطنك وتبدأ من جديد .. ليس هذا عادلاً .. ربما اختار الرجال هذه النهاية لأنفسهم لو أعطيتهم حرية الاختيار ، ولربما لامونى فيما بعد على إنقاذهم .. لكنى مسئولة

عنهم الآن مسئولية كاملة ، وما زلت أرى أن النسيان التام أمر شبيه بالقتل .. وما القتل إلا أن تختفى ذاتك التى تعرفها برغم إرادتك .. »

ثم سألته وهى تقذف إلى البحر بزهرة لوتس كانت تحملها :

- « هل لك رأى مخالف ؟ »

قال فى غباء وهو يحرك رأسه يمينًا وشمالاً :

- « رأى ؟ ما معنى رأى ؟ »

نظرت له فى دهشة ، وفهمت على الفور .. لقد أكل الأحمق من زهور اللوتس .. بل وأكل الكثير منها .. هذه هى مشكلة الشعراء اللاتينيين .. إنهم يأكلون الكثير من اللوتس متى أتيحت لهم الفرصة ..

* * *

استعاد أكثر الرجال وعيهم فى اليومين التاليين إلا (هوميروس) الذى ظل لايعرف من هو ولامن هى ولاسر سفره فى البحر .. ويبدو أن عقل الشيوخ أكثر هشاشة وضعفًا من عقل الشباب ..

حقًا هى مصيبة .. والكارثة أنه نسى الآن كل الأشعار التى كتبها فى حياته ، ومن الواضح أنه نسى معنى كلمة (ملحمة) .. هل انتهت الرحلة ؟؟ أين المفترض أن يكونوا الآن ؟ أين هم فى البحر ؟

كانت هناك ميزة واحدة لكل هذا هى أن الرجال نسوا تمامًا حديثهم السابق عن الغنائم ، وقد قدرت أن لنبات اللوتس بعض الفوائد أحيانًا ..

وبعد أيام سمعت من يصيح من على الصارى أنه يرى أرضًا من بعيد ، وتصايح الرجال فرحًا وهم يتراصون على ظهر المركب يرمقون الأفق .. وخطر لها أنهم بلهاء كالعادة .. لم تعد الأرض تعد إلا بالمصائب ، بينما البحر لايحوى إلا خطرًا واحدًا رتيبًا هو غضبة (نبيتون) .. فلماذا يتوقعون الخير من هذه الأرض بالذات ؟

لكنها عرفت أنهم يتذكرون هذه الأسوار ..

عرفت أنهم عرفوا لون التراب وشكل السماء وتضاريس الجبال ..

عرفت أنهم عرفوا ما غاب عنها ..

هذه هى (طروادة) .. (إليوم) الجميلة .. نهاية ملحمتها الخاصة ، والنقطة التى بدأ منها (أوليس) ملحمته ..

* * *

وماذا بعد هذا ؟

لو كان (هوميروس) بكامل قواه العقلية لساعدها ولأخبرها بما ينبغى عمله ، لكنه غائب ذاهل لايعى ما يقول ، ويتذكر أنه هو بصعوبة بالغة .. وقد وقفت على ظهر السفينة وصاحت فى رجالها :

ـ « الآن يا رجال .. يمكننا أن .. »

صاح (يوريكلاوس) فى مرح :

ـ « نعم .. نعم .. يمكننا أن نمارس السلب والنهب كما نريد ! هذه هى (طروادة) العزيزة التى تركناها منذ ثلاثة أعوام .. لقد اعتدناها كدارنا ونعرف موضع كل حجر فيها .. »

وصاح رجل آخر :

- « إن نهب (طروادة) يشعرنا بالشباب وبأن الأيام الحلوة قد عادت ! »

صاحت فى عدم فهم :

- « لكن الحرب قد انتهت وأنتم ...... »

هنا سمعت الصوت الرتيب من خلفها يقول وهو يضغط زنبرك القلم :

- « كفى يا (بنيلوب) .. دورك ينتهى هنا ويبدأ دور الرجال .. إنهم فى حاجة إلى بعض المرح .. لقد حان وقت انصرافنا ما دمت قد انتهت من ملحمتك الخاصة .. »

نظرت إلى المرشد الذى جاءها يمشى الهوينى فوق سطح السفينة المتآكل ، وسألته :

- « (البنيلوبية) ؟ هل سيذكر (هوميروس) حرفًا واحدًا منها ؟ »

قال وهو يربت على كتف الشاعر الكفيف الذى يضرب الأرض بعصاه فى توتر :

- « سيستعيد الذاكرة لكن بطريقته الخاصة .. قل لى يا أخ (هوميروس) .. من الذى قتل السيكلوب ؟ »

فى حماس كالمجاذيب رفع (هوميروس) عقيرته وصاح :

- « من ؟ طبعًا (أوديسيوس) .. (أوديسيوس) ابن (ليرتيس) ملك (إيتاكا) .. المعروف فى السماوات بالدهاء والمكر ، وملك (نريوس) ذى الشعاف السامقة .. »

- « هل ترين ؟ »

صاحت فى غيظ :

- « الوغد ! بعد كل ما رأيته من عذاب !! »

- « هذه هى ذاكرة الشعراء ، وأنت تعيشين فى عالم صنعه الرجال ، لهذا لن يذكر (هوميروس) شيئًا عن بطولات (بنيلون) .. ستظل هى الزوجة المخلصة التى تغزل بانتظار زوجها البطل العائد .. ولكن دعك من هذا .. لقد خضت مغامرة لا بأس بها .. قليلات من النساء من عشن الإلياذة والأوديسة مثلك .. بل إن نساء كثيرات ما زلن يحكمن بمجرد قراءة هاتين الملحمتين .. »

- « وماذا عن (أوليس) ؟ »

- « لن يتركه (فرجيل) و(دانتى) فى حاله .. ولسوف يضعه الأخير فى ملمحة أخيرة يحاول فيها استكشاف مضيق جبل طارق .. لكنه سيموت فى هذه المرة .. وستكون آخر كلماته هى .... »

قالت وهى تنظر إلى أسوار (طروادة) :

- « اعملوا ألا تعيشوا كالدواب .. ولكن لكى تكتسبوا كل يوم معرفة جديدة .. »

★ ★ ★

فى القصة القادمة تعيش (عبير) مع (هتلر) الأيام الأخيرة لانهيار الإمبراطورية النازية .. الحلفاء يدخلون (برلين) والحرائق فى كل مكان ، لكنها تعيش التجربة بمنطق (فانتازيا) الذى يسمح بحدوث أى شىء بأية طريقة فى أية لحظة ..

إنها قصة مخيفة كئيبة .. لكنها شائقة ممتعة ..

تمت بحمد الله .

روايات مصرية للجيب

فانتازيا

مغامرات ممتعة من أرض الخيال

عودة المحارب



د. أحمد خالد توفيق

هنا كان صوت العواء يتعالى كئيبا مخيفًا ينذر بالشؤم ، وكأنه شيطان يُذبح فى سقر .. حتى لتتمنى الموت كى لاتسمع هذا الصوت ثانية .. إلا لو كان هذا هو صوت الموت نفسه ..

ودنا الهول القادم ، ورأى الرجال المشهد المهيب الرهيب فتصايحوا .. وتدافعوا .. ولم يصدقوا ما رأوه ..

كان الكابوس يتكون من شطرين .. على اليمين ترى الأخت (شيللا) بارزة من كهفها وأعناقها الستة تتلوى فى تلمظ ، بينما على اليسار ترى العين التى لا تنى يفور ماؤها ، ثم يغور ..



الثمن فى مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

القصة القادمة

آخر أيام الرايخ